

دَرَسَاتُ عَصْرِيَّةٍ  
فِي  
أَلَاةِ الْبَيْتِ  
الْشَّرِيفَةِ

تَأَلَّفَ  
مُحَسِّنُ عَلِيٍّ النَّجْفِيِّ



مَجْلِسُ الشُّرَاةِ الْإِسْلَامِيَّةِ



دِرَاسَاتٌ عَصْرِيَّةٌ  
فِي  
الْإِسْلَامِ  
تَأَلَّفَ  
مُحْسِنٌ عَلِيُّ التَّحْفِي



جامعة الكويت

اسلام آباد باكستان

الكتاب: دراسات عصرية في الإلهيات  
تأليف: محسن علي النجفي  
الطبعة الأولى: ربيع الثاني ١٤٤٣ هـج ٢٠٢١ م  
الناشر: جامعة الكوثر، اسلام آباد، باكستان  
المطبعة: اسد محمود برنتك بريس، راولبندى  
كمبوزر: علي حيدري  
الكمية: ٥٠٠





## ابتدائية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً  
ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شئ فقدره تقديراً  
والصلوة والسلام على رسوله الذي أرسل شاهداً  
ومبشراً ونذيراً.

وعلى آله الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم  
تطهيراً، ولعنة الله على أعدائهم الذين أعد لهم سلاسل  
وأغلالاً وسعيراً.

وبعد: فهذه محاولة متواضعة لدراسة أسس  
التوحيد التي تقوم عليها قوام الدين.

إن المتعلم بعد التخرج من المدرسة حينما يضع  
قدمه في المجتمع كرائد ومصلح للأمة يجب عليه أن يكون  
عالمًا بكل ما يختلج في أفكار الجيل الجديد، من الشبهات  
والشكوك حول التوحيد والتعاليم الدينية، كما يجب على

أولياء المدارس الدينية أن يقوموا بتربية جيل واع و مسلح  
 بالبراهين العقلية التي تفي بمتطلبات هذا العصر، لاجل  
 أن لكل عصر متطلبات ولكل جيل حاجات، طبق البيئة  
 التي يعيش فيها المتعلم، وطبق المحيط الذي يلقي الأثر  
 الفعال على الازهان، كما جاء في الحديث: ”والعالم بزمانه  
 لا تهجم عليه اللّوابس(١)“

فيجب على العالم ان يكون عالما بزمانه، اى  
 بمقتضيات زمانه، وإلا سوف يسقط في مهاوى اللّوابس،  
 وعن الامام علي ”حسب المرء من عرفانه علمه  
 بزمانه(٢)“

وفي عصرنا دخلت شبهات عقائدية قوية من  
 ملاحدة العصر، مسلحة بالعلوم التجريبية الجديدة  
 الخداعة، فنحن أمام تحديات كبيرة في الحفاظ على عقائدنا  
 وتراثنا، اذ نرى كثيراً من الشبان عرضة لحمولات الإلحاد

(١) الكافي كتاب العقل والجهل حديث از امام جعفر الصادق ج ١ ص ٢٦

(٢) عن امير المؤمنين كشف الغمة في ج ٢ ص ٣٤٧ معفة الأئمة

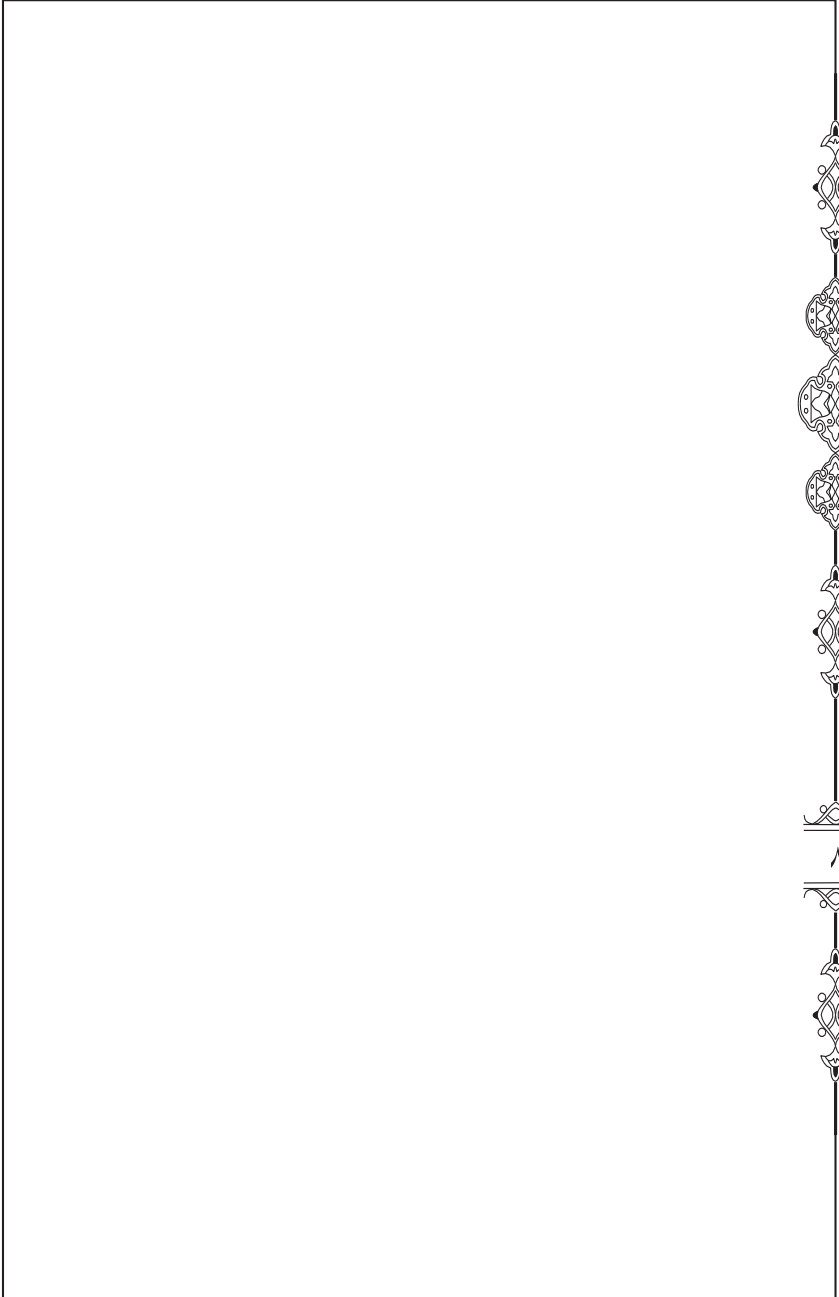


في المؤسسات التعليمية الجامعية، فكان من اللازم تدوين دراسات جامعة بين الأصالة والمعاصرة، لتكون لهم عوناً على الخوض في معترك الصراع بين الفكر الإسلامي الأصيل والفكر الالحادي الوارد، وعلى المواجهة للأفكار الهدامة والمبادئ الوافدة، إذ أن لغة علم الكلام القديم لم تعد مفهومة للشباب الإسلامي الذي يعيش في ظروف متغيرة، علماً إن هذه المسائل الجديدة إذا لم تكن موضوع نقاش في قاعات الدروس الحوزوية فمعناه ان مدارسنا الدينية تعاني الجفاف في حقل البرهنة بلغة العصر، نسئل المولى سبحانه أن يوفقنا للعمل الناجح للخروج من هذا المأزق، بمحمد وآله الطاهرين

محسن علي النجفي، إسلام آباد

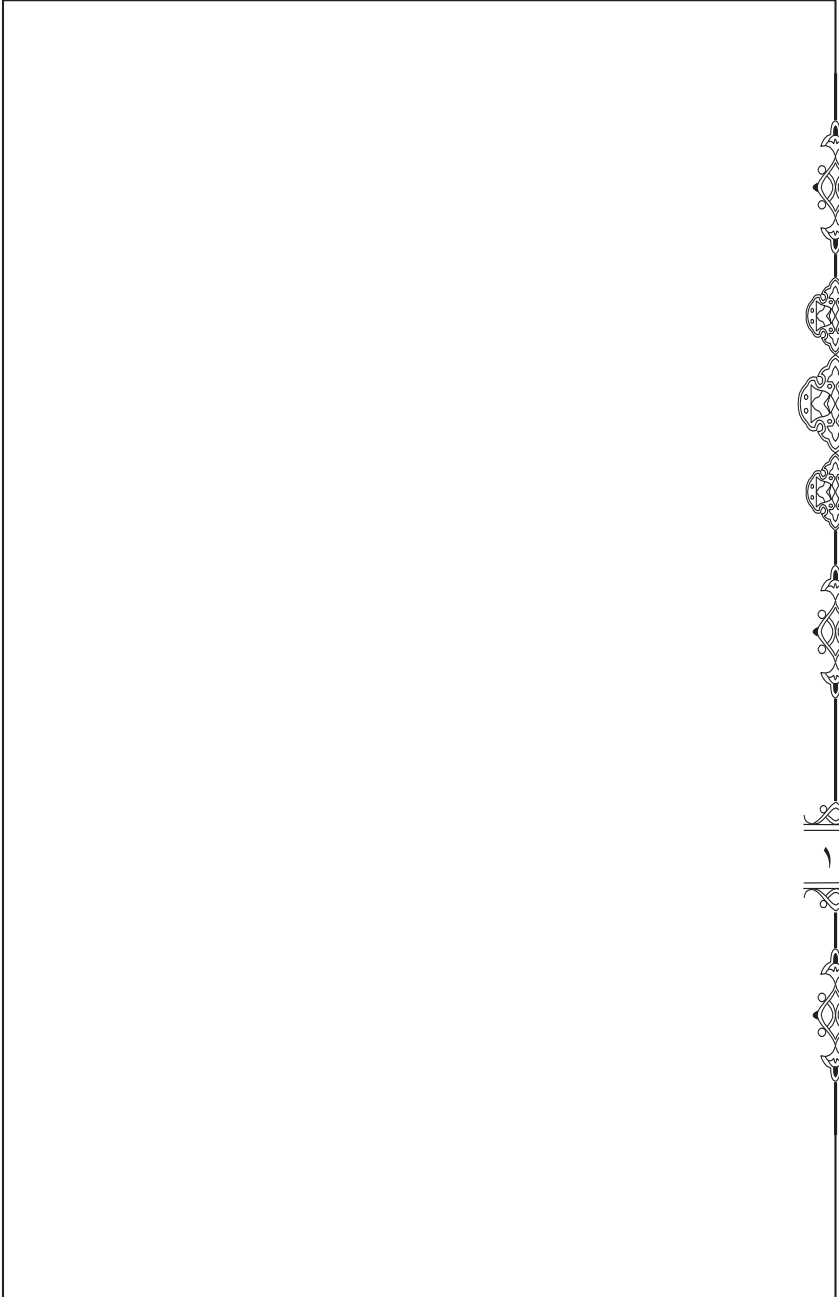
٥ ربيع الأول ١٤٤٣

١٢/١٠/٢١



## الباب الأوّل

# عوامل تكوين الاعتقاد بالدين



## عوامل تكوين الاعتقاد بالدين

إذا كان الاعتقاد بشيء من قبيل التطير والتشاؤم من أشياء كصوت الغراب، فإنه علامة البين عند بعض الناس وعلامة الوصال عند آخرين، فالباحث يتساءل عن عوامل تكوين هذه العقيدة، واما اذا كانت وراء العقيدة والإيمان بشيء عوامل الفطرة ويكفي فيها انسانية الإنسان كمسألة تكوين الأسرة فلا يحتاج الباحث عندئذ إلى بحث عوامل أخرى غير عوامل الفطرة.

فمسألة تكوين الاعتقاد بالدين اذا كانت خارجة عن منطق الفطرة فلا بد من البحث عن عوامله غير الفطرية.

والذين يرون ان الاعتقاد بالدين إنما جاء من الخوف من الظواهر الطبيعية او الجهل بعللها، أو من العوامل الاقتصادية والتفاوت الطبقي، أو الحرمان الجنسي يفرضون ان الاعتقاد بالدين خارج عن منطق العقل والفطرة، وشيء غريب عن إنسانية الإنسان وقد دخل فيها لهذه العوامل غير الفطرية.

ونحن إذ أثبتنا أن الاعتقاد بالدين أمر فطري فلا يصح التساؤل عن العوامل الأخرى غير الفطرية. ومع ذلك نفند المزاعم حول تكوين الاعتقاد بالدين.

## الإقتصاد

يرى الماركسيون أن الوضع الإقتصادي وتطور وسائل الإنتاج بنية تحتية تترتب عليها جميع الظواهر الإجتماعية ومنها الأفكار الدينية. فالعقيدة الدينية عندهم تابعة للظروف والعلاقات الإقتصادية.

نقول: أولاً: إذا صح هذا الأصل يلزم منه أن نظرية الماركسيين هذه حول كون الوضع الإقتصادي بنية تحتية لجميع الظواهر الإجتماعية هي نفسها تابعة للظروف الإقتصادية السائدة عند إقامة هذه النظرية، فحيث تطور الوضع الإقتصادي لابد لهذه النظرية كبنية فوقية أن تتغير. وثانياً: صحيح أن للإقتصاد دخلاً إلى حد ما في تكوين الأفكار والنظريات وفي بعض الظواهر، إلا أن كونه عاملاً وحيداً لجميع الظواهر الإجتماعية باطل، إذ أن هناك عوامل عديدة أخرى للحركة التاريخية المذكورة في محلها، كالعوامل الفيزيائية والفيزيولوجية والسيكولوجية.

قالوا: إن التناسب العكسي قائم بين الحالة الإقتصادية و العقيدة الدينية، فكلما تحسنت الحالة الإقتصادية انحسرت العقيدة الدينية.

نقول: إن هذا لا يختص بالدين بل يشمل بقية الغرائز الإنسانية والجوانب البشرية، فكلما يطغى جانب يحنفى جانب آخر غرائزاً وأفكاراً.

وإستغلال البعض للعقيدة الدينية لمصالحه الشخصية لا يكون دليلاً على أن الدين مخترع من هذا المستغل، فلو استغل أحد الطب لمنافعه الشخصية فهذا لا يكون دليلاً على أن الطب مخترع من هذا المستغل، بل ان الإستغلال لشيء إنما يتم لو كان لهذا الشيء مكانة راسخة في أذهان الناس، ولأجل أن العقيدة الدينية من الأمور الفطرية كانت مقبولة لدى عامة الناس، ومن هنا تمهدت الأرضية المناسبة والفرصة الكافية للإستغلال، شأن كل ما يحتاج الناس إليه من الماديات، فما لم يكن لشيء طلب طبيعي لدى الناس لا يمكن لأحد ان يستغله.

ومن ذلك ان الماركسية تزعم تارة ان الطبقة المضطهدة هي التي قامت بإيجاد الدين لتكوين هذه الأفكار سلوة وعزاء لما تعانیه من العذاب الأليم.

يقول ماركس: ان البؤس هو التعبير عن البؤس الواقعي والإحتجاج على هذا البؤس الواقعي في وقت معاً، الدين زفرة الكائن المثقل بالألم وروح عالم لم تبق فيه



روح، وفكر عالم لم يبق فيه فكر، انه افيون الشعب، إذن فنقد الدين هو الخطوة الأولى لنقد هذا الوادي الغارق في الدموع.

**الإجابة:** ان الذين يعتقدون بالدين ليسوا كلهم من الطبقة المضطهدة، وكثير من المتدينين لا يتتمون اقتصادياً إلى هذه الطبقة، فالدين كثيراً ما ينفصل عن الظروف الاقتصادية.

على أن الدين إذا كان ناتجاً عن الوضع الاقتصادي والتناقضات الطبقيّة في المجتمعات كان من اللازم أن لا يوجد هناك دين في المجتمعات البدائية التي تزعم الماركسية أنها مجتمعات شيوعية لا طبقيّة، والحال ان الدين كان له دور فعال في مثل هذه الأزمنة وفي مثل هذه المجتمعات البدائية (١)

(١) يقول جان. ر. ايورث الأستاذ في جامعة كولومبيا: لا يمكن العثور على ثقامة او حضارة لدي قوم من الأقوام الا وهو مصبوغ بالصور الدينية... ان جذور الدين والتدين ضاربة في أعماق التاريخ... هناك في الأعماق البعيدة جداً وغير المعروفة من التاريخ (الله خالق الكون) ص (١٢٩)

وتزعم تارة اخرى ان الدين نشأ في احضان الطبقة الحاكمة لاستغلال الطبقة المحرومة واصطياد هذه الطبقة الكادحة والبائسة.

إن الماركسية حينما تدلي بمثل هذا البيان تتغافل عن الحقائق التاريخية بأن رسالة الدين في جميع المجتمعات رسلاً واتباعاً كانت على عاتق الفقراء الذين كانوا لا يملكون سوى الثروة الروحية، فقالوا لنوح :

(قَالُوا أَنْوْمِنُ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذُلُونَ ﴿١١﴾) (١) (وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِرَأْيِنَا وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَنْظُرُكُمْ كَذِبِينَ ﴿٢٧﴾) (٢)

وعندما انفجرت الدعوة الإسلامية في مكة لم تكن هذه الرسالة إلا على عاتق هذه الطبقة المحرومة في المجتمع المكي.

(١) سورة الشعراء: الآية ١١١

(٢) سورة هود: الآية ٢٧

إننا نرى بوضوح عدم التلازم بين الحالة الإقتصادية والإلتزام بالدين، فهناك مجتمع يعتنق الدين وهو في حالة إقتصادية قوية، ومجتمع آخر في نفس القوة في الإقتصاد، ولا يعتنق الدين، وهكذا يمكن ان يعتنق مجتمع الدين وهو في اذل الفقر والمسكنة، ومجتمع آخر في نفس الحالة من الفقر والحرمان لا يعتقد بالدين.

على أن الدين لم يكن في وقت وفي زمن من الأزمان في صالح الطبقة الحاكمة، فالدين يحرم الربا والإحتكار وتمركز الثروة (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ<sup>٣٤</sup>)، ويدعو الدين إلى المساواة في الكرامة الإنسانية والتنازل عن عرش النخوة والتكبر والجلوس في صف واحد مع الفقراء.

ولأجل ذلك كانت هذه الطبقة تقوم ضدالدين وتعاليمه، (وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن

تَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ  
 آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَوْلُو جِئْتُكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا  
 وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ ۖ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ  
 كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ (١)

ذلك أن الدين هدفه القيام بتحرير الإنسانية من  
 عبودية غير الله وليضع منهم الإصر والأغلال التي كانت  
 عليهم، وينجيهم من العذاب المهين.

ان كلمة لا إله إلا الله دعوة وحرمة لرفض  
 حاكمية الطواغيت، ونفي كل إستغلال وإستثمار ومحو كل  
 معبود سوى الله.

اليست روح الحركة الدينية على مر التاريخ هي  
 الدعوة المصرة إلى عدم الركون إلى الظالمين؟، أو ليس  
 الهدف الأساسي لبعثة الأنبياء هو إقامة العدل والقسط في  
 المجتمع البشري؟ ومن المعلوم أن إقامة القسط والعدل لا  
 يمكن إلا بعد إزالة كل آثار الظلم والعدوان في المجتمع.

## أجهل بالعلل الطبيعية

قالوا: لما عجز الناس عن فهم العلل المادية للظواهر الطبيعية توهموا لها عللاً غير مادية وأخذوا يؤمنون بالله كعلة لهذه الظواهر ولذلك يفقد الدين مكانتها كلما تقدمت العلوم في الكشف عن السنن الكونية.

نقول: ان الإيمان بالله لا يتعلق بظواهر أو بحادثة من الحوادث، وإن مسألة وجود الله ليست من المسائل الجزئية حتى يقول: ان البشر آمنوا بالله لتوجيه بعض الظواهر كالزلازل والأمطار.

بل ان البحث عن الله هو البحث عن الكون كله والبحث عن الوجود المطلق الذي ينبعث عنه سائر الموجودات.

وليس من عقيدة المتدينين أن الله يأخذ مكان العلل المادية، وليس الأمر عندهم دائراً بين الإيمان بالعلة المادية لكل حادث وبين الإيمان بالله، فلا منافاة عندهم بين

إكتشاف علة مادية لظاهرة من الظواهر الطبيعية وبين الإيمان بالله تعالى، بل يزداد إيمانهم بالله عندما ينكشف سر غامض في التنسيق والإنسجام والترابط العليّ في النظام الكوني، فكلما يرون النظم الدقيق والترابط الوثيق في المعاليل يزداد إيمانهم بعلة العلل.

وبعبارة علمية ادق: أن نفوذ إرادة الله في الكون ليس في عرض العلل المادية. حتى يقال: ان المؤثر إما ارادة الله أو العلة المادية، بل ان ارادة الله تؤثر في طول تأثير العلل المادية، فلا توجد هناك أي منافاة بين تأثير إرادة الله وبين تأثير العلل المادية، فلنا ان نسند الولد إلى أبويه والمطر إلى السحاب إسناد المعلول إلى علته القريبة، ولنا ان نسندهما إلى الله (تعالى) او إلى الملائكة إسناد المعلول إلى علته البعيدة. ولذا ترى القرآن يسند التوفية إلى الملائكة أولاً (حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْرَطُونَ ﴿٦١﴾) (١) وإلى عزرائيل ملك الموت ثانياً

(قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ) (١) وإلى  
الله (تعالى) ثالثاً (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا) (٢)  
نعم أالدين المحرف يفتقد مكانته كلما تقدمت  
العلوم في إنكشاف الخطأ الفاحش لما افتعله المحرفون من  
خرافات وسخافات.

### ألخوف من الحوادث الطبيعية

قالوا: إن الخوف من الموت والحوادث الطبيعية كالزلازل  
والرعد والأضرار التي تلحق الإنسان، صارت سبباً  
لإختراع قوة عليا يلوذ إليها ويسكن في كنفها.

قلنا: إن هذه الفرضيات لا تتمتع بأي قيمة علمية، لأنها  
ظن وتخمين وضرب من الخيال ليس إلا وفي الحقيقة انه لا  
يوجد أي تلازم بين الخوف والتدين وإلا لكان أضعف  
الناس قلباً أقواهم في الدين، بينما نرى في التاريخ ان دعاة

(١) سورة السجدة: الآية ١١

(٢) سورة الزمر: الآية ٤٢

الدين كانوا أقوى الناس جأشاً، فلم يكن الذين يخافون الموت يتوسلون بالتدين، بل الذين ينتمون إلى الدين لا يتطرق إليهم الخوف من الموت (قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنَّ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾) (١) إذ أن أولياء الله لا يخافون من الموت، فإنهم أكثر ثباتاً وأشد جأشاً في المخاوف وإن الموت عندهم أحلى من العسل.





## العقدة النفسية

إن فرويد يقدم فرضية نفسية لنشأة الدين، وهذه الفرضية عبارة عن الكبت الجنسي الذي يتعرض له الانسان من قبل المجتمع، فهو يزعم أن الأبناء كانوا يميلون الى أمهاتهم جنسياً، ولكن الآباء كانوا حائلين دون رغباتهم، فنشأت المنافسة بين الابن والآب جنسياً، ويذكر فرويد واقعة مفتعلة حول هذه المنافسة ثم يقول: ان جميع الأديان قد نشأت على أثر هذه المنافسة.

الجواب: ان هذه المفروضة وهمية ليست إلا خيال من توهمات فرويد. كما يقول المحلل النفسى السويسرى (كارل غوستاف يونج) الذى كان صديقاً لفرويد تلميذاً له: إن الدين ليس مرضاً نفسياً، بل هو على العكس تماماً بديل عن المرض النفسى (١) يقال: إن فرويد كان يجب أمه حبا شديداً، وكان موقفه تجاه أبيه سلبياً.

(١) دراسات في علم الكلام الجديد ١/٦٢، حسن يوسفیان ج ١ ص ٦٢

## الاغتراب عن الذات

يرى بعض حاملي نظرية الإلحاد، أن الإنسان يليق بالصفات الكمالية، مثل الخير والجمال والحكمة التي هي صفات للإنسان نفسه، فيجعلها على موجود آخر ثم ينحني أمامه تعظيماً له واحتراماً، فعند هذه المفروضة ليست الذات الإلهية شيئاً آخر غير الإنسان ذاته، وبعبارة أخرى: الإله هو الطبيعة الإنسانية المهذّبة والمحرّرة من القيود الفردية.

**الجواب:** هذه المفروضة المفتعلة إن دلّت على شيء فإنما يدلّ على أن الملحدّين ليس عندهم دليل على نظرهم الإلحادي إلا المفتعلات والوهيات. الكل يعلم أن الإنسان حامل لخصائل مختلفة، ففيه خصال الخير والشرّ، وقد يغلب على أحد جانب الخير، وقد يغلب على آخر جانب الشرّ، تحت عوامل التي يعيش فيها هذا الإنسان.

## الباب الثاني

# البراهين على وجود الله تعالى



## برهان الفطرة

الفطرة معناها اللغوي هو الخلق والإيجاد.

وفي الإصطلاح: هي عبارة عن الهداية التكوينية التي تشتمل على المعرفة.

وهذه الهداية ليست إكتسابية، بل هي موجودة مع الخلق، أي من وراء الخلق.

إن الإنسان يتمتع بقوة الفكر، فهو يفكر لغده، ويميّز بين الخير والشر، فهو يحب العفو والإيثار، والعدالة والسخاء، ويتنفر عن الظلم وعدم النظافة.

والغريزة: عبارة عن إحساس الجوع، وحب المال والقدرة، والغضب والخوف. والغريزة توجد في الإنسان وفي الحيوان، بينما الفطرة لا توجد إلا في الإنسان.

إن الإنسان كان يعتقد الدين قبل أن يعرف  
 الإستدلالات العقلية وكان يتوجه فطرياً إلى خالقه، فكان  
 الإنسان لا يحتاج للوصول إلى الدين إلى المباحث العلمية  
 والفلسفية، فالإيمان بالله والاعتقاد بالدين يكمن في غريزة  
 الإنسان وفطرته، وإن إنسانية الإنسان كافية لإدراك هذه  
 الحقيقة، وان التوجه إلى الله والإيمان به مودع في الإنسان  
 بصورة غريزية كغريزة طلب الأم في الطفل، فالإنسان بما  
 هو إنسان تتحكم فيه هذه الطاقة من وراء الحجب.

كأنه يوجد هناك من وراء الإنسان وفي داخله  
 إنسان آخر، لا يكفر بالله أبداً. ولا يعصي ما أمر الله به،  
 والذي يكفر ويعصي هو هذا الإنسان المادي الظاهري وأما  
 ذلك الإنسان الداخلي الذي قد نسميه بالفطرة فطرة الله  
 التي فطر الناس عليها. وقد نسميه بالعقل والضمير  
 والذي هو حجة من الله، ورسول داخلي منه، لا يمكن أن  
 يكفر بالله ويخرج من طاعته.

بل الإنسان الظاهري المادي إذا قام بمعصية الله  
 (تعالى) أو الكفر به فإن هذا الإنسان الظاهر الداخلي  
 يستنكر منه هذا العمل ويصرخ في وجهه ويذمه على فعله  
 ويلومه على عمله، فإذا أستمّر الإنسان الظاهري في  
 إنحرافاته وخرافاتة، فإن الإنسان الداخلي سوف يصبح  
 تحت ضغط هذه القوة المادية إلى ان يقطع صوته، والذي  
 نعبر عنه بموت الضمير والوجدان.

وأما إذا ارتفعت عنه جميع العوامل المادية المضادة  
 لذلك الإنسان الحر، فانه سوف يرجع مرة أخرى إلى  
 الركون إلى خالقه الذي ما زال موجوداً في ركيذته الفطرية،  
 كما يقع ذلك الإنسان في حالة حرجة تقطع عنه جميع  
 الأموال والحيل، وترفع عنه جميع الضغوط، وتبعد عنه جميع  
 العوامل المضادة، فعند ذلك تبدأ الفطرة السليمة نشاطها،  
 وتعود الإنسانية إلى خالقها.

(وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ  
 مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا  
 فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ (١)  
 (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ  
 لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ  
 يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ (٢))

نحن نرى بوضوح ان هناك أموراً تحكم على فكر  
 الإنسان وسيرته وعاداته وتلك الأمور تكون مستوحاة من  
 البيئة والمحيط، فالمجتمعات البشرية تختلف عن بعضها  
 من حيث الفكر والسلوك والعادات لإختلاف البيئات.

وهناك أمور تحكم في فكر الإنسان وسلوكه  
 ولكنها تكون من وراء البيئة والمحيط فالمجتمعات وان  
 اختلفت البيئات إلا أنها لا تختلف في هذه الأمور لأجل ان

(١) سورة الروم، الآية: ٣٣

(٢) سورة العنكبوت، الآية ٦٥



هذه الأمور لم تكن مستوحاة من البيئة والمحيط، وإنما كانت مستوحاة من مقتضيات الإنسان وبعبارة أخرى من إنسانية الإنسان، لا من العوامل الخارجية، فهذه الأمور تتحكم في الإنسان من حيث هو إنسان لا يشذ عنها أحد. ومن هنا قيل في تعريف الإنسان: إنه ”حيوان ميتافيزيكي“:

ولا يضر عدم إعتناق بعض الناس العقيدة الدينية بفطرية الدين، لأن عدم الإهتمام بالأمور الفطرية لا يختص بالإيمان بالله، بل ان هناك أموراً فطرية كثيرة قد لا يعتني بها الإنسان لأجل تركيز الإهتمام على سائر الأمور. كما ان حب الإستطلاع فطري عند الجميع، ومع ذلك فالأكثرية لا تهتم بهذا الأمر، كذلك فان الإنسان الجائع العطشان والخائف ينسى الميل الجنسي كلياً، وهكذا الحس لا ينعدم من أصله.

ففطرية الشيء لا تعني وجوده في جميع الظروف والحالات، فلا يرد ما قيل: ان الإيمان بالله لو كان فطرياً لما

قل إهتمام الناس به كلما تقدمت الحضارات والعلوم حتى وصل في بعض الأحيان إلى درجة الصفر.

وكانت دعوة الأنبياء (ع) إلى التوحيد في مقابل الشرك وعبادة الأوثان، والشمس والقمر، لأجل ان الإيمان بالدين كان مرتكزاً في قرارة أنفسهم فطرياً كما قيل: ان عرض الأنبياء إنما نجح لوجود الطلب في ركيذة الناس، كما يقول الإمام علي ( ) : ” وواتر إليهم أنبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ويذكروهم منسى نعمته“

وان علماء النفس قد توصلوا إلى الحس الديني في لا شعور الإنسان إلى جانب الإحساسات الثلاث وهي:

١. حب الإستطلاع، ومن هذا الإحساس يحمل الإنسان العبء الثقيل والمشاق الكبيرة في سبيل الحصول على معلومات والوصول إلى المسائل المجهولة، ومن هذا الإحساس تقدم البشر في طول تاريخه في العلوم والفنون.

٢. الإحساس بالإحسان، ومن هذا الإحساس يحس كل إنسان في وجدانه وفي قرارة نفسه جاذبية تدعو إلى العدل والفداء والإيثار وغير ذلك من الفضائل.

٣. الإحساس بالجمال، ومن هذا الحس ظهرت الفنون الجميلة.

٤. الإحساس الديني، وفي هذا الحس يوجد في الإنسان نوع من الجاذبية إلى ما وراء الطبيعة، وأنه يدرك في قرارة نفسه وجود المبدأ الأول، وهذا الإدراك أجلى من الإدراك الحسي الذي قد يخطئ (واين مما ترى العيون) (١) وان كشف هذا الإحساس كان انتصاراً للدين إلى مدى بعيد.

وهكذا إكتشفوا سراً عظيماً للحس الديني، ألا وهو العلاقة المتينة بين البلوغ والإحساسات الدينية، فقد ثبت إن الإحساسات الدينية تشتد وتبلور عندما يبلغ الشبان السادسة عشرة من عمرهم.

(١) الإمام علي: نهج البلاغة خطبه ١٥٥

وإن وجود الله من البديهيّات عند الفطرة لا يشوبه شك، كما قال تعالى:

أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>ط</sup>

تشير هذه الآية إلى أن وجود الله من البديهيّات، كما ورد في دعاء عرفة، حيث يقول الإمام الحسين :

أَيُّكُونُ لغيرِكَ مِنَ الظُّهُورِ مَا لَيْسَ لَكَ  
حَتَّى يَكُونَ هُوَ المَظْهَرُ لَكَ، مَتَى غَبْتَ حَتَّى  
تَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ يَدُلُّ عَلَيْكَ، وَمَتَى بَعَدْتَ  
حَتَّى تَكُونَ الأَثَارُ هِيَ الَّتِي تَوَصَّلُ إِلَيْكَ،  
عَمِيَتْ عَيْنٌ لَا تَرَاكَ عَلَيْهَا رَقِيبًا.

## بيان الفطرة في القرآن

قال تعالى: وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ  
ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ  
أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ<sup>ط</sup> قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن

تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا  
غَافِلِينَ ﴿٧٢﴾ (١).

الأقرب أن هذه الآية تشير إلى أول مراحل تخليق  
بني آدم حين خلق أول خلية في صلب آدم وأودع في هذه  
الخلية (النطفة) معرفة الله سبحانه و تعالى، وهذه المعرفة  
تنتقل عن طريق الوراثة الى الخلايا الآتية من أولاد آدم،  
فمن الممكن أن تكون اشارة الآية الى توديع هذه الهداية  
التكوينية في وراء الخلق في هذه الخلايا، فذكر ذلك بطريق  
التمثيل، كما قال سبحانه و تعالى:

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا  
وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ  
ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ (٢).

(١) سورة اعراف: الآية ٧٢

(٢) سورة الاحزاب الآية ٧٢

كما سئل الإمام جعفر الصادق عن هذه الآية  
أى ألت بربكم، قال:

ثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه  
يوماً، ولو لا ذلك لم يدر أحد من خالقه  
ولا من رازقه (١)

فالله سبحانه و تعالى أودع في فطرة الإنسان وخلقته معرفة  
الله تعالى.

كما قال:

وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا  
وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ (٢)

كما بعث الأنبياء عليهم السلام لبيان تفصيل ما  
اجملته الفطرة.

ومن أدلة فطرية الدين.

١. إعتناق الإنسان الدين في جميع أدوار التاريخ، كما بين  
في مواضعه وشوهد في الحفريات إعتناق الانسان

(١) بحار الانوار (ط\_ بيروت) ٣ ص ٢٨٠

(٢) سورة الشمس الآيتان ٧، ٨

عقيدة الدين ما قبل التاريخ وجميع العقائد الدينية بمختلف أشكالها إنما تنبع من عين الفطرة، مثل حنان الأم لولدها، بدليل أن هذه الخصوصية تلازم جميع الامهات من دون اختصاص لمنطقة وزمان.

٢. ومن الأمور الفطرية ميل الإنسان بطبعه إلى العدل والقسط، وتنفره من الظلم، وهذا أمر داخل في جبلة الإنسان.

٣. ألتدين يوجد بدون التعليم: فقد ثبت علميا، أن التدين يظهر في فترة البلوغ في أقوى مظاهره، وحسب ماشاهده علماء النفس أن أكبر قدر من هذه المشاعر الدينية تظهر في حدود السادسة عشر من عمر الشباب.

٤. ألتدين لا يختص بمنطقة وبلد، بل يعم جميع المناطق من الشرق والغرب فلا يخلو أى بلد من مسجد و معبد وكنيسة وسائر مظاهر التدين.

٥. بقاء التدين في أعماق الناس في بلاد قام ساستها لقمع مظاهر الدين مدةً غير يسيرة.

## علامم الأمور الفطرية

١. أن الأمر الفطرى يلازم الإنسانية والبشرية ولا يوجد إنسان فاقد لهذه الخصوصية.
٢. الأمر الفطرى لا يحتاج تحققه فى الإنسان إلى تعليم بل أنه من ما يلازم إنسانية الإنسان.
٣. الأمر الفطرى لا يخضع للعوامل الخارجية، أمثال السياسة والجغرافية والاقتصاد.
٤. ليس فى امكان الدعايات المناوئة للأمر الفطرية أن تقوم بالقضاء على الأمور الفطرية، وإن كانت توجب أحياناً لتضعيفها.

## الإنجذاب الفطرى

ألدوافع الموجودة فى الإنسان تدل على وجود تأمين لهذه الدوافع، مثلاً دافع الجوع والعطش فى الحيوان يدل على وجود ما يرفع الجوع والعطش، ودافع الزواج يدل على وجود ما يتزوج الإنسان معه، ودافع الأمومة يدل على وجود أسباب الانجاب.



وهكذا إذا كان الإنسان يعلق آماله الى إلهٍ يدل  
ذلك على وجود الإله.

## الفطرة والقيم الأخلاقية

ألقيم الأخلاقية الموجودة في الإنسان موهبة من  
الفطرة، وأن محبوبة العدالة والإيثار جاءت من الفطرة،  
وهكذا ساير القيم الإنسانية من قبيل الغيبة وإفشاء أسرار  
الآخرين، والإهانة بهم و غير تلك من القيم الأخلاقية إذا  
كانت منسجمة مع الضمير والوجدان.

## الفطرة والوعى الانساني

وجدير بالذكر أن الأمر الفطري يكون له تأثير على  
شعور الإنسان، كما ثبت بالتجربة عند الباحثين في الغرب  
ما للصلوة من تأثير إيجابي على الإنسان كما قامت جماعة  
من الباحثين في جامعة كيليفورنيا الأمريكية بالتحقيق ما  
للصلوة من أثر إيجابي على الدماغ، فشاهدوا أن الإنسان  
في حالة الصلوة يكون مطمئن القلب، وتحدث كيفية على

وجود الإنسان بعد عدّة ثوانٍ من الدخول في الصلوة، من الهدوء في النبضات القلبية، وجريان الدم في العروق، والتصلب أكثر في قوة المقاومة في الأعضاء.

وعلموا أن الدماغ يصبح أكثر نشاطاً، وتنشر من الخطوط العصبية أشعة نورانية (١)  
يقول بعض الباحثين الغربيين:

وكان إيمانهم بالله سبباً في قضاء حاجاتهم النفسية والإنفعالية والروحية بطرق لا تستطيع أن تحيط بكنهها عقول البشر جميعاً.

كما يقول طبيب خبير من أمريكا: ان ثمانين بالمائة من المرضى من جميع المدن الأمريكية الكبرى ترجع أمراضهم الى حدّ كبير الى مسببات نفسية (٢)

فيعلم للباحث الخبير ما يتركه الإيمان من حلاوة وما يخلفه الإلحاد من مرارة.

(١) آية الله المحسنّي: كتاب العجائب

(٢) الله يتجلى في عصر العلم ص ١٣٦

وفيما يلي نذكر ما جاء في كتاب (الدين بين معطيات العلم واثارات الالحاد) للسيد منير الحباز:

لو لم يكن الدين فطرياً، لكان تعليم طفلك الدين خلاف فطرته، فيكون بذلك عنفاً وإيذاءً، وأما لو كان الدين فطرياً، فإن تعليم الدين يكون ترسيخاً وتكاملاً للفطرة، وهذا ما نحن بصدد إثباته في هذا المنطلق، وإليك أيها القارئ العزيز بعض الأبحاث العلميّة التي تؤيد فكرة فطرية الدين:

**المؤيد الأول:** من أهم الأبحاث العلميّة المرتبطة بمسألة فطرية الدين، ما طرحه عالم الجينات (دين هامر. Dean H. Hamer) رئيس وحدة أبحاث الجينات بالمعهد القومي للسرطان بالولايات المتحدة، في كتابه (جين الألوهيّة) (١) الذي أثار ضجّةً وصراعاً في وقته، إذ كتب هذا الكتاب بعد عدّة دراسات في علم النفس، وجينات السلوك، وبيولوجيا الأعصاب، فتوصّل إلى أنّ الإنسان يرث

مجموعةً من الجينات التي تجعله مستعداً لتقبّل الألوهية والدين، ومن هذه الجينات الجين المعروف بـ (vesicular monoamine transporter 2)، واختصاراً بـ (VMAT2)، والمقصود من كون فكرة الألوهية مسألة استعداد فطريّ هو أنّها لو عُرِضت على طفلٍ لتقبّلها بسرعة، لأنّ الجينات التي يتكوّن منها الإنسان تؤهّله لتقبّل هذه الفكرة، وقد علّق دين هامر نفسه على جين الألوهية، فقال: يمكن للمؤمنين بالله أن ينظر والجين الألوهية كعلامة على براعة الله، وذلك لأن هذا الجين يمثّل طريقة ذكيّة لمساعدة البشر على اعتناق الإيمان بالله (١).

ولكنّ مجلة (تائم Time) ركّزت في شهر أكتوبر من نفس سنة صدور هذا الكتاب - وهي سنة ٢٠٠٤م - في عددها الخامس والعشرين على هذا الموضوع، ونقلت آراء عدّة علماء يرون أنّ الألوهية ليست استعداداً فحسب كما

(١) Geneticist claims to have found "God gene" in humans. The

قال (هامر) ، بل هي شعورٌ، بمعنى أنّ الإنسان يولد وعنده شعورٌ فعليٌّ بوجود إله، وليست المسألة مسألة جين مستعدٍ لتقبّل فكرة الألوهية فقط. وعلى كلا الفرضين توجد بذرةٌ بيولوجيةٌ في الإنسان ترشده إلى أنّ هناك إلهًا، إمّا على نحو الشعور الفعليّ، أو على نحو التقبّل والاستعداد.

**المؤيد الثاني:** قامت جامعة أكسفورد بعمل بحث إحصائي استمرّ لمدة ثلاث سنوات، وضم هذا البحث ٥٧ أكاديمياً من عشرين دولة ذات مجتمعات متنوعة دينياً وثقافياً قاموا بـ ٤٠ دراسة منفصلة، وكان من المشرفين على البحث: الدكتور (جوستين باريت Justin Barrett) والهدف من هذا البحث هو الوصول إلى جواب سؤال محدد، وهو: هل الدين فطريّ؟ وكانت النتيجة هي أنّ الإنسان وُلد ولديه استعداد فطري بأن يعتقد بالله وبالיום الآخر (١).

وبما أن الدين ينسجم مع الفطرة والغريزة، فإن تعليم  
الطفل المفاهيم الدينية ليس بإيذاء ولا بعنف، بل هو  
ترسيخ وتكامل لشخصية الطفل لما هو مدفون وكامن في  
فطرته.



## برهان النظم

إن أوضح البراهين وأيسرها لدى العقلاء هو دليل النظم، وهو عبارة عن مشاهدة النظم السائد على الكون كله، وأن هذا الدليل يتجلى أكثر كلما تقدمت العلوم التجريبية، وكشف الحقائق الكونية، والقوانين الطبيعية. نحن نذكر قبل الدخول في البحث ما ورد عن إمام الموحّدين علي بن أبي طالب في نهج البلاغة:

ألذي ابتدع الخلق على غير مثال إمثله،  
ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود  
كان قبله، وأرانا من ملكوت قدرته  
وعجائب ما نطقت به آثار حكمته،  
واعتراف الحاجة من الخلق إلى ان يقيمها  
بمساك قوته، مادلّنا بإضطرار قيام الحجة  
له على معرفته، فظهرت في البدائع التي

أحدثتها آثار صنعته، وأعلام حكمته،  
فصار كلما خلق حجة له ودليلاً عليه وإن  
كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير ناطقة  
ودلالته على البدع قائمة (١)

إن برهان النظم يعتمد على مقدمتين.

**الأولى:** مشاهدات عينية و بحوث علمية تحكى لنا وجود  
نظام هادف يسود الموجودات الطبيعية،

**الثانية:** إدراك العقل وفهمه لوجود علاقة منطقية واضحة  
تربط بين النظام الذي يسود العالم وهدفه، والعلم بأن  
هذا النظام لا يمكن أن يصدر إلا عن علم وإدراك وفي  
القرآن آية تدل على بداهة برهان النظم وهو قوله تعالى:

أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ<sup>ط</sup> (٢)

(١) الخطبة رقم ٩١

(٢) سورة ابراهيم الآية ١٠



فلا يتطرق إليه الشك لأجل كونه فاطر السموات والأرض.

وفي القرآن عدة آيات تشير الى دليل النظم كقوله تعالى:

”إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ  
وَإِخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْقُلُوكِ الَّتِي  
تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ  
اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ  
بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ  
وَتَصْرِيْفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ  
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ  
يَعْقِلُونَ“ (١)

قوله تعالى:

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى  
فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاقُوتٍ فَارْجِعْ  
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ۚ ثُمَّ ارْجِعْ

(١) سورة البقرة: الآية ١٦٤

الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا

وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤١﴾

وقوله تعالى:

قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ

وَالْأَرْضِ ﴿٢﴾

وعن الامام الصادق انه قال للمفضل:

”يا مفضل، أول العبر والأدلة على الباري

جل قدسه تهيئة هذا العالم وتأليف أجزائه.

ونظمها على ما هي عليه، فإنك إذا تأملت

بفكرك و خبرته بعقلك وجدته كالبيت

المبنى المعد فيه جميع ما يحتاج إليه عباده،

فالسماء مرفوعة كالسقف، والأرض

مدودة كالبساط، والنجوم مضيئة

كالمصاييح، والجواهر مخزونة كالذخائر،

(١) سورة الملك الآيتان ٤٣، ٤٤

(٢) سورة يونس الآية ١٠١

وكل شئ فيه لشأنه مُعدّ، والإنسان  
 كالمملك ذلك البيت و المخول جميع ما  
 فيه، وضروب النبات مهياةً لمآربه  
 وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه و  
 منافعهم،

ففى هذا دلالة واضحة على أن العالم  
 مخلوق بتقدير و حكمة ونظام وملائمة،  
 وأن الخالق له واحد، وهو الذي ألفه و  
 نظّمه بعضاً إلى بعض جل قدسه و تعالى  
 جدّه“ (١)

إن برهان النظم ينسجم مع تقدم العلوم  
 التجريبية، ويتقوى مع تزايد الكشوف العلمية.  
 إن برهان النظم يهتدي به العالم وغير العالم، لأن  
 غير العالم يدرك الفرق بين النظام والفوضى.

(١) راجع: توحيد المفضل صفحة ٤٧٠

## الكون

وفي القرآن الكريم توجد ٨٠٠ آية كونية تحث

المؤمنين على دراسة الطبيعة وعلى التفكير، بينما توجد ٢٥٠

آية تشريعية (١)

قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ<sup>٢</sup>

يقع تساؤلات حول الكون:

١. هل أنه وجد بنفسه

٢. أم أن الكون أزلي ليس له إبتداء

٣. أم أن هناك خالقا للكون

أما وجود الكون بنفسه فهو باطل لاحاجة لإقامة

الدليل عليه

أما وجود الكون بالمصادفة فإننا نأتي على بيان بطلانه.

(١) الموسوعة القرآنية العلمية

(٢) سورة يونس الآية ١٠١

أما كون الكون قديماً ليس له بداية فهذا أيضاً يتضح بطلانه جلياً عند أهل النظر، نظراً إلى أن الحرارة في طريقها إلى الزوال طبق قانون الديناميكا الحرارية، فلو كان الكون أزلياً لانعدم الكون قبل زمان، فيبقي القول: أن للكون خالقاً.

## التجاذب والتعادل في الكون

إن الكون عبارة عن مليارات مجرات، وكل مجرة تشتمل على مليارات من النجوم، هذه المجرات والنجوم ترتبط فيما بينها لتجاذب الثقيل، فلما رأوا أن جميع المجرات والنجوم تدور حول المركز، فافترضوا أن هناك في المركز ثقل قوى سموها بليك هول (Black hole) وقالوا: لو لم تكن تلك القوة في المركز لانتشرت النجوم وتفرقت.

وفي جانب آخر، يقولون: أن هذه الطاقة المفروضة أيضاً غير كافية للتعادل فيما بين النجوم، فقاموا بإقامة مفروضة أخرى كمصدر للطاقة و سموها الثقب الأسود،

وذلك: ان الطاقة المفروضة توفر للعالم خمس بالمائة، ولا يعلمون من أين تأتي ساير الطاقة اللازمة لادارة الكون.

وانه قد إكتشف أخيراً في مجرتنا مادة مظلمة، وأن هذه المادة المظلمة تتمتع بقوة اكثر من ملايين مرة من الشمس.

وهذه القوة المخفية هي التي تحتفظ بالتعادل في نظام الكون.

أما قوله تعالى: **فَلَا أُقْسِمُ بِالْحُنُوسِ** ﴿١٥﴾ **الْجَوَارِ الْكُنُوسِ** ﴿١٦﴾ (١) معنى الحنوس: هو الإختفاء، فلا نقول: إن المراد من الحنوس هذه المادة المظلمة الغائبة عن الأنظار لأن حمل حقائق القرآن على مفروضات الباحثين خطأ لا يغفر.

إن الباحثين قالوا: إن الكون في البداية كان بصورة الغاز، ثم تبدل نظرهم وقالوا: إن الكون كان في البداية بصورة غبار (Cosmic Dust) وأخيراً توصلوا إلى أن الكون كان بصورة دخان (Smoke) وقد قال الله تعالى:

(١) سورة التكوير الآيتان ١٥، ١٦

ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ (١)

ومما يجب التنبيه إليه: ان الكون قائم على التعادل، فلو وقع هناك أى خلل ولو ضئيلاً جداً لاختل نظام الكون وانعدم.

فليس عند القائلين بالصدفة أى موقف حول توجيه هذه الموازنة الكونية.

وحتى الآن لم يستطع أحد أن يغير سبب القوة الموجودة في الذرة و مصدرها ومن ثم تلك القوة الموجودة في الكون.

والباحثون يقولون: إننا ندرك بالحدس أنه كانت هناك عند إيجاد الكون قوة كان كل شئ تحت حكومة هذه القوة.

فالعالم قائم على قوة التجاذب، يقولون: انه لو قُدر انخفاض ضئيل جداً في قوة التجاذب لسقطت النجوم،

وهكذا لو قُدر زيادة في هذه الجاذبية ولو ضئيلاً لتصادمت  
 النجوم بعضها ببعض، وتصطدم الأرض بالشمس، فلو لم  
 تكن هذه المعادلة الحالية لما كانت هناك أية نجوم أو كوكب  
 أو ذرات أو حيات، فعلم من ذلك أن الكون يسوده  
 تصميم فائق وتنظيم متقن.



## البرهان الحسى

وقد يسمى هذا الدليل بالدليل الاستقرائى، هذا الدليل يمتاز عن الدلائل الأخرى بكونه مقنعاً للإنسان المعاصر، وقادراً على مواجهة التحديات العصرية، ففي هذا الدليل يستفاد من تقدم العلوم التجريبية والمحسوسات العلمية لإقناع الإنسان المعاصر بلغة العلم التجريبي الحسى، هذا الدليل يشتمل على مقدمات:

**الأولى:** الحصول على جملة من الظواهر الحسية المتسالم عليها في الأوساط.

**الثانية:** النظر الدقيق على إجتماع عدّة عوامل لإيجاد هذه الظواهر.

**الثالثة:** عدم إمكان إجتماع عدة عوامل صدفة بدون القصد والإرادة.

## البرهان الحسى في القرآن.

قال الله تعالى: سَتُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي  
 أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ (١) والإرائة تشمل  
 الإرائة الحسية قطعاً، وظاهر الآية يدل على أن هذه الإرائة  
 سوف تستمر في جميع الأجيال.

إنه وعد من الله تعالى لعباده أن يريهم بعض أسرار  
 هذا الكون، و بعض أسرار أنفسهم، ولقد صدق الله  
 وعده، فكشف للإنسان من آياته خلال القرون الماضية  
 آيات كثيرة في الأفاق والأنفس، عرفوا أن أساس بناء هذا  
 الكون هو الذرة، وعرفوا أن الذرة تحتوى على اشعاع  
 هائل.

وعرفوا عن (أنفسهم) الشئ الكثير فعرفوا عن  
 تكوينه وان أساس خلق الإنسان هو الخلية (Cell) وعرفوا  
 كثيراً الآيات الموجودة في الخلايا.

## الآيات المنكشفة في الخلايا

وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا  
 أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ (١)

نحن نقدم دراسات مفصلة عن الآيات الموجودة في الخلايا لأجل أن في داخل الخلية آيات جليلة على صنع الله تعالى ومدهشة للإنسان إلى حد كبير، وان الخلية تحتوى على أروع آيات الله تعالى، ففيها الدليل الواضح على قدرة الله وخلاقته والآيات الموجودة في الخلية لا تقل أهمية عن الايات الموجودة في المجرات.

فهى في الصغر لا ترى إلا بعد تكبيرها مليون مرّة وهى من أعظم وأكبر آيات الله تعالى.

تبين للباحثين، أن الخلية عبارة عن مجتمع مشحون من المخلوقات المختلفة، ولكل مخلوق منها سمات خاصة، وأدوار يقوم بها، وعلاقات تربط بغيرها من سكان الخلية،

وأصبحت الآن ان الخلايا الطريق الأهم للأبحاث العلمية، ولها أهمية كبيرة لفهم أسرار الحياة، عندما يُبحث عن هذه الخلية عن قرب توجد فيها ملايين الأبواب الصغيرة لو دخلنا إحداها تحدث مفاجأة، حيث توجد صنائع خارقة العادة، ونظام متكامل يوجد في جسم الإنسان، والتي عددها مائة بليون خلية، وسوف يتضح في هذه الدراسة وجود آيات رائعة لله تعالى.

وأن كل خلية في أجسامنا تتكاثر بالإنقسام وفي هذا الإنقسام آية من آيات الله تعالى، حيث أن الإنقسام هذا يتم وفق نظام دقيق ينبىء من الشعور والإرادة، حيث يوجد في داخلها مركزاً يسمى (DNA) وهذا المركز يصدر الأوامر لإدارة الجسم.

تبدأ بخلية واحدة، تشكل بشراكة الأب والأم، ثم تكثر بالإنقسام.

## ماهى DNA

ان للجسم مديراً ومدبراً يسمى (DNA) وهذا المدير يسكن في وسط الخلية، و تصدر الأوامر الى الخلايا للقيام بوظائفها لإدارة أمور الجسم، وهى المصداق (ثم هدى) في قوله تعالى:

رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ

هَدَى ﴿٥٠﴾ (١)

توجد داخلها حبلان ملتويان يشتملان على ثلاث مليار ذرات التى تسمى ماليكول (Molecule) يكمن فيها سر الحياة.

كما انه إكتشف في سنة ٢٠٠٠ أن نور الحياة يلمع عند ما يتم الترتيب والتنظيم في هذه الذرات (ماليكول) على خيط الحياة أي خيط DNA وتوجد في داخل هذين الحبلين ذرات في عدد الملائين، ففي هذه الذرات التى تكون في أعلا نظام متقن

تكمّن جميع خصائل الإنسان، تسمى جين (Gene) وتوجد جين (Gene) على ثلاث بالمائة من حبل (DNA)، ويقال: أن الحبل الذي يخلو من ذرات جين (Gene) يصدر الأوامر إلى جين.

## دور الجينات في مصير الإنسان

علمنا أن الأوامر إلى الجينات تأتي من الحبل يخلو من الذرات، هذه الأوامر تتوجه إلى الجينات لبيان كيفية عمل الخلايا، فالخلايا تتلقى الأوامر من الجينات، والجينات تتلقى الأوامر من الأمكنة الخالية من حبل DNA وهنا سؤال اهم: وهو من أين تأتي الأوامر إلى هذه الأمكنة الخالية؟

الجواب: نقول: لم يقع في حيطه العلوم التجريبية من أين تأتي الأوامر، ونحن لا نقول: إذا كانت العلوم عاجزة عن التفسير فلا بد من التسليم بأن الأوامر تأتي من الله بل نقول: عند ما تكشف الحقائق وزال ذلك الغموض يوماً

من الأيام يزداد الإيمان بالله تعالى ونقول: وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ  
الْأُمُورُ ﴿١٩﴾ (١)

وعلى أى حال: ان الجين قد يقال له: (المؤرثة)  
وهى الوحدات الأساسية في الكائنات الحية، وفيها يكمن  
جميع خصائل الإنسان، سيكون هذا في مستقبل حياته  
شجاعا أو جبانا، جواداً أو بخيلاً، غاضباً أو حليماً، كل  
ذلك ليس إلى درجة الجبر، بل في درجة رجحاناته.

نقرأ بالمناسبة، هذه الآية المباركة:

قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ  
بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ (٢)

### في المفردات للراغب:

الشاكلة من الشكل وهو تقييد الدابة، ويسمى ما  
يقيد به شِكَّالاً. بكسر الشين. والشاكلة هى السجية، سمى  
بها لتقييدها الإنسان أن يجرى على ما يناسبها وتقتضيه.

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٩

(٢) سورة اسراء الآية ٨٤

## وفي تفسير الميزان ذيل الآية:

وقد تحقق بالتجارب والبحث العلمى أن بين الملكات والأحوال النفسانية وبين الأعمال رابطة خاصة، فليس يتساوى عمل الشجاع الباسل والجبان إذا حضرا موقفاً هائلاً، ولا عمل الجواد الكريم والبخيل اللئيم في موارد الانفاق، إلى أن قال: ومع ذلك كله فليس يخرج دعوة المزاج المناسب ملكة من الملكات او عمل من الأعمال من حد الإقتضاء إلى حد العلية التامة بحيث يخرج الفعل لمخالفة الطبع من الإمكان إلى الإستحالة، فالفعل باق على إختياريته وإن كان في بعض الموارد صعباً غاية الصعوبة. انتهى

وعن الامام الصادق "لو علم الناس كيف خلق الله تبارك و تعالى هذا الخلق لم يلم أحدٌ أحداً" (١)



## قسم العلاقات والترابط

كل خلية في أجسامنا تنقسم إلى أقسام، لكل قسم وظائف معينة لا يمكن التجاوز عنها، ولا تتدخل في أمور الأقسام الأخرى.

وتكون مع عدم التدخل على صلة مع سائر الأقسام، ولأجل إقامة هذا الترابط تصدر هارمونات، وهذه الهارمونات تقوم بواجبها المتعين لها، مثلا أن هناك هارمونات تراقب فعاليات جميع الخلايا، وهارمونات تراقب نسبة الملح والماء في الدم، وغير ذلك، وبدون هذه الهارمونات لا يمكن إقامة نظم متقن في إدارة الجسم.

الهرمونات هي المواد الكيميائية التي تصطنعها الغدد الصم في الجسم والتي تقذب فعاليتها السحر، إذ تملك قوى رائعة للتحكم في عمل أجسامنا حتى تجتاز مسيرة الحياة بكفاءة وإقتدار.

فهل في إمكان الصدفة القيام بهذه الأعمال الحكيمة

## معجزة الخلية الخلاقة

إن الخلية تنقسم إلى قسمين: خلية جسمية و خلية جنسية. الخلية الجسمية خلية كاملة توجد في مركزها ٤٦ كروموزوم أى صبغياً وأما الخلية الجنسية فتشتمل على ٢٣ كروموزوماً أى صبغياً وعن طريق الإختلاط الجنسية بين الأب والأم تشكل خلية كاملة فتصبح  $٤٦ = ٢٣ + ٢٣$  خلية كاملة.

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ  
مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ  
وَالْتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ (١)

يقول الخبراء أن الدفق لازم من الجانبين، جانب الأب و جانب الأم.

إن نطفة الأب تشتمل على أربعمائة مليون حيوان منوى (Sperm) ويصل من بينها خمسة حيوان فقط إلى

(١) سورة الطارق الآيتان ٥ تا ٧

المكان الذي ينتظر فيه بويضة الأم والبويضة ترحب القادم أحسن ترحيب، والرحم يستقبل ضيفا في كل شهر ويفرش له الوسادة والسجادة الثمينة (بالغدد والخلايا)، وفجأة ياتي الخبر إلى الرحم بأن الزواج لم يتم، وإن الضيف مات في الطريق، فيبكي الرحم على هذه الكارثة دما لا دمعاً.

وينجح حيوان واحد للدخول في البويضة فيتشكل النطفة الأمشاج حسب تعبير القرآن.

إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ  
نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ (١)

## عصمة الأنثى

لما يلتحم الحيوان المنوي مع بويضة الأنثى تدخل البويضة في الحجاب لا يمكن لأحد الإقتراب منها يعنى: بعد أن تم الزواج يحرم على ساير الأجانب الإقتراب منها، وهذا درس رائع وحكم تكويني من الله تعالى للنساء.

(١) سورة الانسان الآية ٢

## تكوّن الذكر والأنثى

نطفة الرجل تحتوى على صبغتين يرمز إليهما بـ  $\gamma$  و  $X$ ، بينما بويضة الأنثى تحتوى على صبغة واحدة وهى  $X$ ، فإذا التحم الحيوان  $X$  من الرجل كان الجنين أنثى، لأن الصيغة تكون  $X X$  وهى صيغة الأنثى وإذا التقى الحيوان المنوي من الرجل يحمل  $\gamma$  كان الجنين ذكراً، لأن الصيغة تكون  $\gamma X$  وهى صيغة الذكر. نقرا في هذا المقام قوله تعالى:

أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ نَظْفَةً مِّن مَّنِيِّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ (١)

ومنه يتضح أن الرجل هو الذي يحدد جنس الجنين، فلا ينبغي للزوج أن يلقي اللوم على الزوجة حين تضع الإناث تبعاً.

(١) سورة القيامة الآيتان ٣٦ تا ٣٩

## إلى حجرة العريس

بعد ما تم الزواج بينهما و تشكل الخلية الكاملة  
بشراكة الأب والأم، تنتقل هذه الخلية الحاملة بالأمانة  
العظمى الى الرحم، والرحم يرحب بالضيف ويفرش له  
سجادة كى يجلس عليها و ياكل من مائدتها.

## أكبر معجزة

وهناك تتحقق أكبر معجزة في خلق الإنسان، وهى: أن  
الخلية بعد ما تجلس على السجادة تثقب السجادة كى  
يتصل دم الأم الى الخلية كى يتمكن للخلية أن تمتص دم  
الأم و تتغذى به، وتنمو.

والخلية تنمو عن طريق الانقسام، فتصبح الخلية  
خليتان ويجرى الانقسام من إثنين إلى أربع ومن أربعة إلى  
ثمانى هكذا تنقسم إلى أن يبلغ العدد إلى أكثر من مائة، وعند  
ذلك تتحقق.

## المعجزة الكبرى

وهى معجزة تقسيم الوظائف لبناء بنية الإنسان بين الخلايا إن الخلايا تنقسم الى مجموعات متعددة، ويتعين لكل مجموعة الوظيفة المختص بها، فالبعض منها مأمور لبناء الكبد، والآخر لبناء القلب والآخر لبناء الدماغ وغير ذلك من الأعضاء.

ومن هنا قال بعض الخبراء: إنه لا يوجد في عالم الطبيعة أمر أعجب من تقسيم الخلايا ووظائفها، فتتقسم الخلايا تلقائياً إلى فرق مختلفة لتعمل عملها المعين لها.

### وهنا عدة أسئلة.

الف: من أين علم الخلايا أنه يجب عليها الإنقسام في مجموعات؟

ب: ومن أين علم كل مجموعة وظيفتها المعينة لها؟

ج: كيف علمت المجموعة التى على عاتقها بناء الكبد مثلاً، انه يجب بناء عضو يمكن تأدية خمسة وظائف مصيرية لإدارة جسم الإنسان؟

د: فهل في إمكان الملاحظة وعبدة الصدفة الإجابة  
عن هذه الأسئلة؟

هكذا تعمل كل خلية حسب ما تعين لها من وظائف،  
فمثلاً: امرها أن تخلق الطفل على شكل خاله، فهذه الخلايا  
على علم بان عين الخال كبيرة، وأنفه مرتفع، وفمه صغير،  
وعنقه طويل، وصدرة رحيب وغير ذلك.

**لفت نظر:**

ان التهيأ لحاجات قادمة لا يمكن أن يستند إلى  
خاصية المادة. فكيف أمكن للخلايا أن تقوم بصنع أعضاء  
يحتاج إليها الإنسان في المستقبل؟

**لفت نظر:**

البروفيسور الكندى (كيث ل مور) هو من أشهر  
علماء العالم في علم الأجنة: عرض كل أطوار الجنين في  
بطن أمه، والتي التقطت بأحدث الأجهزة العلمية، فإذا  
هى تنطبق تماماً على كل ما ذكر في القرآن من مراحل  
تكوين العظام واللحم إلى غير ذلك.

١. هذه كلها كانت لبيان المقدمة الأولى، وهى الحصول على الظواهر الحسية.
٢. والمقدمة الثانية أيضا تم بيانها في غضون المباحث المذكورة من إجتماع عدة عوامل لتكوين الجسم والحياة للإنسان.
٣. المقدمة الثالثة نذكرها في مباحث بطلان الصدفة من أن إجتماع هذه العوامل صدفة غير ممكن عند العقلاء.



## خاصية المادة والتحسب للمستقبل

إن تنوع الأشياء إذا كان ناشئاً من الخاصية الموجودة في المادة كما يقوله الماديون، فمن أين تقوم هذه الأشياء بأفعال تتعلق بالمستقبل، أى في صالح المستقبل. إن من عجائب الخلقة ذلك التنبؤ والتحسب والقيام بعمل لصالح المستقبل بين ظاهرتين غير معاصرتين.

إن هذا التنبؤ العملى على نحو التطلع والتهيؤ لسد حاجات ظاهرة قادمة لحجة قاطعة على القصد و نفى الصدفة.

نحن نرى بوضوح هذا التحسب والتنبؤ العملى بين الأم وجنينها، إن الأم حيوانا كان أم إنسانا من حين بدء الحمل تتهيأ الحليب في ثدى الأم وتقوم لتحضير الغذاء للطفل، وحينما تضع الأم الحمل تجد في ثديها الغذاء المناسبة والوافيه لجميع حاجات الطفل، وقد توفر

هذا الغذاء عن الثقوب الصغيرة في ثدى الأم، والطفل يعرف المصّ بأحسن وجه، من دون تجربة مسبقّة.

هل يمكن أن نقول: كل هذا التحسب من خواص

المادة؟

إن من أعظم آيات الله تعالى قيام الخلايا النطفية بصنع الأعضاء الداخلية للإنسان بعد توزيع الوظائف فيما بين الخلايا، فالبعض منها يقوم ببناء الكبد ذلك العضو الذي يعمل في المستقبل أعمالاً مصيرية لإدارة جسم الإنسان، والبعض الآخر يقوم بصنع القلب الدووب الذي يعمل ليل نهار مدة عمر الإنسان بدون كلل أو ملل لإيصال الدم الى الملائين من خلايا الجسم في المستقبل.

فالذي أعطى الشعور في هذه الخلايا للعمل بما فيه

مستقبل هذا المولود هو الخالق البارئ جل شأنه.

وهنا يطرح هذا السؤال: هذا التخطيط السابق لرفع

حاجات موجود آخر في المستقبل، الا يعد هذا العمل

البارع عمل عالم بصير؟

## فصل: الصدفة

إذا كان النظام السائد في الكون من الذرة الى المجرة تحت نظام قانوني فالقانون ينبئ عن القصد والارادة، وإذا لم يكن هناك قانون فعند ذلك يكون عبارة عن الفوضى.

وقد اثبتت جميع الدراسات العلمية بصورة ثبتت في الماضي، ولا تزال ثابتة في الحاضر، أن سلوك أى جزء من أجزاء المادة مهما صغر أو تضاؤل حجمه لا يمكن أن يكون سلوكا عشوائياً، بل أنه يخضع لقوانين طبيعية محدّدة، وفي كثير من الأحيان يتم إكتشاف القانون قبل إكتشاف أسبابه، أو فهم طريقة عمله بفترة طويلة من الزمن، ولكن لمجرد معرفة القانون وتحديد الظروف التي يعمل في ظلها، يثق الكيمويون فيه كل الثقة، ويظل القانون عاملاً ومؤدياً إلى نفس النتائج، وليس من المعقول

أن يكون الذي الكيموى كل هذه الثقة في القوانين الطبيعية، لو كان سلوك المادة أو الطاقة كان من النوع العشوائى الذي تتحكم فيه المصادفة، وعند ما يتم أخيراً إدراك الأسباب التي تجعل هذا القانون الطبيعي عاملاً، وتفسر لنا حقيقته، فان اى أثر لفكرة العشوائية والصدفة في سلوك المادة أو الطاقة سوف يندثر إندثاراً تاماً (١)

فلو لا ثقة الإنسان أن هناك قوانين يمكن كشفها، لما أضع الناس أعمارهم بحثاً عنها.

١. فإن مساعي الباحثين للكشف عن علة لأى حادث، إنما هي عدم قبولهم تحقق هذه الظواهر بدون عللها، وأنهم لم يعثروا إلى اليوم على حادثة لا توجد وراءها علة، ولم يقفوا إلى اليوم إلى صدفة لا علة لها!
٢. إذا صدر عمل من عامل لا خبرة له ولا هدف أمامه، وأنه لا يتمتع بالعقل والبصيرة، فنرى عدم النظم

(١) الله يتجلي في عصر العلم ص ٢٢ ط القاهرة

والهرج والمرج في عمله، فكيف أمكن للصدفة أن  
يصدر منه أعمال منذ القدم إلى اليوم على أفضل نظم  
وأتقن صورة.

٣. إذا لم يكن الكون قد صدر من حكيم قدير لكان في  
معرض خطر الإنهدام في كل لحظة.

٤. إذا شاهدنا في الكون كائناً صدر عن حكمة و شعور،  
وكائناً صدر صدفةً من غير قصد وحكمة، لعلمنا  
مميزات كل واحد منهما، بينما نحن لا نرى موجوداً  
وجد صدفة عمياء.

٥. إذا كانت الموجودات كلها قد وجدت عن طريق  
الصدفة، فلماذا يقوم الماديون لبحث العلة والسبب  
وراء كل حادث حدثت.

## الحياة والصدفة

هذا الأمر يعد من الضروريات، أن الحياة من  
الحياة، وأن المادة الميتة لا يمكن أن تكون مصدراً للحياة.

هذا، وقد مرّ على الأرض زمان طويل كان لا يمكن للحياة أن تستقر عليها لحرارتها العالية.

وصل الخبراء أخيراً على مقربة من الحياة، وذلك أنهم قد كشفوا أن سر الحياة كامن في داخل الخلية (Cell) حيث توجد في خيوط DNA ثلاث مليارات ماليكول (Molecule) أى ذرات، بالترتيب وبنظام فائق، والحياة يلمع عند هذا الترتيب المنظم.

أقدم لكم مثالا يتضح منه ما للصدفة من قيمة في عالم الحقيقة: ضع في جيبيك عشر قطع نقود مرقمة من الواحد إلى العشرة، خلطها جيداً، حاول الآن أن تخرجها مبتدأً بالرقم الواحد إلى العاشر متدرجاً بالترتيب، وأنت بالطبع في كل مرة تخرج قطعة تعيدها في جيبيك وتخلطها قبل أن تسحب القطعة التالية،

أن احتمال إخراج القطعة رقم (١) في المرة الأولى هو رياضياً بنسبة واحد إلى العشرة، فإما أن تخرج بالتتابع

(١) وبعده (٢) فذلك قد يصدف مرة من مائة وقد تقع

مرة من ألف ١، ٢، ٣ بالتوالي،

أما احتمال نجاحك في إستخراج القطع العشر في

ترتيبها العددي من (١) إلى (١٠) فلا يكن أن يتفق إلى

مرة من عشر مليارات مرة، بضرب الحاصل من كل مرّة

في عشرة.

فإذا كانت القطعات إلى ثلاث مليار، فسحب

هذه القطعات بالترتيب والتنظيم يقرب الى المحال، إذ كلما

كثر العدد قل حظ المصادفة، بل يصبح حظ المصادفة في

حكم العدم، كما في عدد ماليكول على خيوط (DNA).

## برهان الصديقين

برهان الصديقين عبارة عن عدم توسط شئ من المخلوقات، وهو الاستدلال من أصل الوجود. وهو أن الوجود لا يخرج من حالين.

١. إما ان يكون الوجود ضروريا غير محتاج إلى وجود آخر، فهو واجب الوجود.

٢. وإما ان يكون وجوده مأخوذاً من وجود آخر، وهذا الآخر اما نظيره في الحاجة إلى آخر، فيلزم أن وجوده مأخوذ من ثالث، وهكذا يتسلسل إلى أن ينتهي إلى موجود غنى بالذات.

وذكر الشيخ الطوسي في كشف المراد هذا الدليل كما

يلي:

إن هنا موجوداً بالضرورة، فإن كان واجبا فهو المطلوب، وإن كان ممكناً إفتقر إلى مؤثر موجود بالضرورة،



فذلك المؤثر إن كان واجبا فهو المطلوب وإن كان ممكنا  
تسلسل.

### لفت نظر

إن الفكر الغربى قد لا يرضى عن المنهج الفكر  
الفلسفى الإسلامى، فيطرحون أسئلة عن المنهج  
الإستدلالى الإسلامى كما يقول هيغل أكبر فيلسوف  
الغرب:

لا ينبغي أن نذهب إلى طلب العلة الفاعلية  
للكون، لأن الفكر لا يرضى عن التسلسل  
ويطلب العلة الأولى، ومن ناحية أخرى  
إذا أخذنا العلة الأولى بعين الاعتبار،  
فالتبع أيضاً لا يرضى ولا يقتنع ويقول:  
لماذا أخذت العلة الأولى مقام العلة  
الأولى؟

ولا بد من العلم بأن العلة الأولى لماذا  
فازت بدرجة العلة الأولى؟ (١).

(١) شهيد مطهرى: عدل الهى

**وقد أجاب عنه:**

بأننا لا نقول: أن كل موجود يحتاج إلى العلة، بل  
نقول: إن كل موجود ناقص يحتاج إلى العلة، وأما العلة  
الأولى ليست محتاجة إلى العلة لا لأجل الإستثناء، بل  
لأجل أن وجودها كامل، غير ناقص.  
وأما قولهم: لماذا أخذت العلة الأولى مكانة العلة الأولى من  
بين ساير الموجودات،  
فجوابه، أن وجوب وجوده عبارة عن عين ذاته، وليس من  
خارج ذاته، والذات الكامل لا يسئل عن سبب وعلة  
لكماله، لأن معنى الكمال هو أن لا تأثير لوجوده وكما له  
من الخارج.

**لكل شيء علة**

قال برتراندرسل: كنت في سن الثامنة عشر، كنت  
أقرأ حيات (استوارت ميل) المكتوبة بقلمه: جلبت  
انتباهي جملة (لميل) يقول فيها: لم يجبنى أبي على سؤالي إذ  
ذاك: من الذي خلقني؟ لأنه كان قد صرح سؤالا آخر هو:

من الذي أوجد الله؟ ثم أضاف رسل يقول: كذلك اليوم أنا أفكر في هذه الجملة الساذجة، واراها أنها ابدت السفسطة في بيان العلة الأولى، فكما أن لكل شئ علة وسبباً لا بد لوجود الله أيضاً من علة و دليل، ولو أمكن لشئ أن يكون بلا علة لأمكن ذلك هو الله أو العالم، وعلى هذا فالبحث عن الله يفقد إعتباره.

### الجواب

نحن نسئلهم نفس السؤال حول المادة الأولى، لأنكم تقولون: كل شئ من المادة الأولى، فما هي علة المادة الأولى؟ ليس عندهم جواب إلا أن يقولوا: إن المادة الأولى أزلي لا حاجة الى العلة، ونحن أوضحنا في محله، عدم صحة أزلية المادة عند الخبراء بأجمعهم، هذا الأمر أصبح من الواضح اليوم، أن الحرارة في حالة تقلل وتنقص، تحت أصل (ترموديناميك) كقطعة حديد متوقدة تفقد حرارتها تدريجياً حتى تصل إلى درجة تساوى حرارة المجاورة.

فلو لم يكن للعالم بداية لكانت درجة حرارة العالم  
قد انتهت منذ أمد قديم، كما أن الإنسان قد شاهد موت  
بعض النجوم والسيارات والكواكب، وهو دليل على  
موت العالم وسيره إلى الفناء.  
هكذا إتفق علماء الطبيعة على عدم أزلية المادة و  
حدوث العالم.

## دليل الوجوب

هذا الدليل يقام من طريق (الوجوب) أى عن طريق قاعدة: "الشئ ما لم يجب لم يوجد" وهو أن سلسلة العلل والمعلولات، سواء كانت متناهية او غير متناهية، إذا لم يكن من بينها واجب الوجود لذاته فسوف لا تحصل آحاد تلك السلسلة على الوجوب وبالتالي لا تحصل على الوجود، إذا أنها ما لم تجب لم توجد. توضيحه: أن كل شئ إنما يحصل على الوجوب ثم على الوجود عند ما ينعدم إمكان العدم، أى ينسد جميع طرق العدم على وجهه، وأما إذا كانت آحاد تلك السلسلة ومجموعها ممكنة بالذات، فمعناه أنها لا تعطى الوجوب لنفسها ولا يمكن أن تقوم بسدّ جميع طرق العدم أمام وجهه، فهى إذن لا يمكن أن تتمتع بالوجوب فلا تتمتع علتها أيضا بالوجوب، إذ أن العلة أيضاً ممكنة وطريق

العدم إليها مفتوح عن طريق عدم علتها، وهكذا عدم هذه العلة أيضاً جائز عن طريق جواز عدم علتها وهكذا إلى غير النهاية.

يعنى: ان جميع المعاليل يجوز عدمها عن طريق جواز عدم عللها، فمجموع العلل والمعلولات ممكن ولا يتمتع بالوجوب، وبالتالي لا يتمتع بالوجود، إذ الشيء ما لم يجب لم يوجد، ولا تنسد جميع طرق العدم إلا بالواجب الوجود. وحيث أن الوجود متحقق فعلاً علمنا من ذلك أنه وجب قبل وجوده، فعند ثبوت الوجوب والوجود يثبت واجب الوجود لذاته، وأنه افاض على ساير الممكنات بالوجوب والوجود، وهذا الدليل كما أنه يثبت واجب الوجود، يثبت به بطلان التسلسل أيضاً.

## التجربة والإيمان بالله

إن الإنسان العادي الذي يطالع الكون بمنظاره المحدود ويصور العالم بالتصوير الناقص ولا يتوجه إلى جهله بأسرار الكون عندما يعمل في موضوع خاص يركز جميع أفكاره في ذلك الموضوع وتفقد سائر المسائل اصالتها في نظره.

والتجريبيون أكثرهم من هذا القبيل يحددون جميع وسائل المعرفة في التجربة، ويقومون بتضليل الفكر البشري، بينما التجربة وسيلة لكشف العلاقات الطبيعية بين الأشياء الحسية، ولا يمكن أن تكون وسيلة لمعرفة الخالق بل لمعرفة مطلق ما لا يدخل تحت الحواس من الكليات التي يدركها العقل.

ان التجربة لها أهميتها الكبرى في كشف أسرار الكون وللوصول إلى المعارف المجهولة للبشر، وإنما كما

يقول الإمام علي "علم مستأنف، وزيادة في العقل" إلا أنها لم تصل بعد إلى بطون الذرات، بل وحتى لم تصل لحد الآن إلى فهم كنه المادة نفسها، فكيف تنفي ما وراء المادة، إذ أنها لا تثبت شيئاً لا يكون في استطاعتها نفيه.

فلو لم يكن عند الإلهيين دليل واحد على التوحيد فان منطق التجربة لا يستطيع أن ينفي وجود الإله.

على أن إنكار وجود الله يلازم دعوى العلم بالنظام الكوني كله وبطلان هذه الدعوى في غاية الوضوح.

ونفس السؤال يتوجه إلى المتدينين أيضاً بأن الدعوى لوجود الله في الكون يلازم دعوى العلم بالنظام الكوني كله.

**نقول في الإجابة عن ذلك،** إن هناك فرقاً بين هذين الدعويين، لأن ثبوت الإله في الكون يكفي فيه العلم في الجملة بما في الكون من الإتقان المحير والحكمة الباهرة، فإنه يكون دليلاً على وجود حكيم متقن يدبر الكون، وإن



لم نعلم الحكمة في بعض الأشياء، بخلاف دعوى نفي الإله  
 فإنها تتوقف على العلم بالنظام الكوني كله.  
 ولكن المادية الحسية تعطي لنفسها الحق لنفي ما  
 وراء الحس والتجربة، ليتم القضاء على فكرة الإيـان بالله،  
 والحال ان تجاوزهم حدود الحس، إيـان منهم بما وراء  
 الحس عن طريق الإستنتاجات النظرية والعقلية من  
 معطيات الحس والتجربة، وهذا نفس ما يقوم به الإلهيون،  
 وإن كان نوع الإستنتاج يختلف، فالماديون يستنتجون منه  
 نفي الخالق، والإلهيون يصلون بنفس الطريق إلى إثبات  
 الخالق.

## نظام العلة والمعلول

إن حياة الإنسان قائمة على أساس فهمه الغريزي للكون، وان معاملاته مع الآخرين وردود فعله تترتب طبق ما يفهمه من نوااميس الطبيعة.

ومن هذا القبيل فهم الإنسان لنظام العلل والمعلولات، فدائماً ترى الإنسان في حياته يتوجه إلى العلل للحصول على المعلولات ولا يذهب رأساً إلى المعلولات، فهو يزرع البذر ويبتظر حصول الثمر، ويرى الرعد والبرق فيبتظر نزول المطر.

وإذا لم يكن الإنسان يؤمن بالترابط العلي والمعلولي بين عمله وهدفه ما وجد نشاط في الإنسان، وما إنتظر أي نتيجة من أي عمل.

وتمشياً مع هذا الفهم، يحاول الإنسان أن يفهم العلة بالذات لكل حادث، فإذا لم يصل إلى العلة الواقعية

إفتعل علة موهومة لإرضاء هذا الطلب وتمشياً مع حب الإستطلاع.

كما إن البشر في البداية لم يكونوا يعرفون العلل الواقعية للظواهر الطبيعية، بل كانوا يعتقدون بأن الأرواح الخبيثة أو الأرواح الطيبة هي العلة للحوادث لأنهم كانوا يعرفون أن الحوادث لا تقع صدفة بدون علة.

ونحاول الآن أن نفهم مبدأ العلية فهماً عقلياً لا يتكىء على التجربة، بل التجربة يتوقف صحتها على هذا المبدأ، فنقول: ان الكون إذا كان مرتبط الأجزاء فلا بد من ان يوجد هناك مبدأ العلية، إذ لا يمكن أن يوجد الارتباط إلا من مبدأ العلية.

وأما إذا قلنا أن الكون لا يوجد فيه أي ارتباط بين أجزائه فعندئذ يمكن القول ببطلان مبدأ العلية، فيرجع البحث إلى أن الكون هل هو متناسق الأجزاء أم لا؟

ولابد أن نعلم أن مبدأ العلية لا يتم إلا بأصلين آخرين. أحدهما: السنخية والإنسجام بين العلة والمعلول

فلا يصدر كل شيء عن كل شيء، فهذا الأصل يتعين  
النظام الكوني.

والآخر: أصل عدم تخلف المعلول عن العلة، أي الشيء إذا  
وجدت علته وجب وجوده.

فنقول: إن تقدّم العلوم والإكتشافات العلمية  
يتوقف تماماً على مبدأ العلية، وإذا سقطت العلية من  
النظام الكوني لا يمكن للعلوم أن تكون نظرية علمية في  
أي مجال من المجالات العلمية، لأن العالم الطبيعي حينما  
يقوم بالتجربة في مختبره ليس في إمكانه أن يستوعب جميع  
الأفراد، وإنما يقوم بالتجربة في بعض أفرادها، وعند التأكد  
من صحة التجربة يضع قانونه العام الشامل لجميع أفراد  
تلك الطبيعة، وليس هذا التعميم إلا مبدأ العلية بالإضافة  
إلى الأصلين الآخرين: أصل السنخية، وأصل عدم تخلف  
المعلول عن العلة.

## مبدأ العلية عام شامل لكل شيء

إن جميع الاستدلالات تتوقف صحتها على مبدأ العلية، إذ أن الدليل إذا كان صحيحاً فهو علة للعلم على المستدل عليه، فلا بد لنا حينها نقوم بالاستدلال على شيء أن نعترف بالأمور التالية:

١. الدليل يكون سبباً وعلة لثبوت المستدل عليه.
٢. ان هذا الدليل الخاص يكون سبباً لثبوت شيء خاص ولا يثبت كل شيء بكل شيء (السنخية)
٣. ان الدليل إذا تمّ يجب ثبوت المستدل عليه، (عدم

تخلف المعلول عن العلة)

وإلا لم تبق صلة بين الدليل والمدلول، بل يمكن أن يكون الدليل صحيحاً ومع ذلك لا يثبت المطلوب ولا ينتج النتيجة المطلوبة، أو ينتج نتيجة غير مطلوبة.

وكما أسلفنا سابقاً أن مبدأ العلية لا يمكن إثباته بالحس، لأن الذي ندركه بالحواس هو الطرفان، أي ذات

العلة وذات المعلول، وأما العلية القائمة بينهما فلا ندركها بالحس، بل الحس إنما يكون دليلاً على الواقع الموضوعي بدليل العلية، إذ لو لم يكن هناك مبدأ العلية لما كان الحس دليلاً على الواقع الموضوعي.

من هنا نعلم أن مبدأ العلية عام شامل لكل شيء حتى الدليل الذي يقام ضد مبدأ العلية، إذ أن الدليل إذا لم يكن علة لبطلان مبدأ العلية عند المستدل لما قام بهذا الإستدلال.

إذن فإن مبدأ العلية لا ينحصر في التجربة على الظواهر الطبيعية بل هو قانون عام شامل للوجود سواء في الظواهر الطبيعية، أم في نفس المادة، أم في ما وراء المادة.

## الهداية التكوينية

ومن الأدلة القاطعة التي تدل على الشعور والإرادة في الخلق، وجود الهداية والرؤية الصادقة بالنسبة إلى المستقبل في الحيوانات، وهذه الهداية توجد وراء النظام المادي في الحيوانات، فالحيوانات تتمتع ببصيرة صائبة تدرك بها الطريق إلى المستقبل.

وكانت النظم من ناحية العلية تدل على وجود الشعور في الخلق.

أما الهداية التكوينية فهي لا ترتبط بالنظم المادية وإنما هي ترتبط بالمستقبل.

إن النظم إنما يسير إلى الأمام سيراً قهرياً إلى الهدف المنشود من النظم.

أما الهداية التكوينية فهي إختيار إهدى الطريقين إلى الهدف المنشود.

فالنظم هو السير الجبري في الطريق المحدد  
والهداية هي الإختيار.

وهذه الهداية المكنونة في الخلق وراء النظم المادية  
عبارة عن:

١. القيام بالتكيف مع البيئة وتغيير الطريق.
٢. التقسيم في النشاطات وإنتخاب العمل الأصلح.
٣. المساهمة الفعالة في اعادة المفقود من أجزاء أعضاء  
البدن.
٤. التعرف على الإحتياجات من دون التعلم.

**فالأول:** يوجد له كثير من النظائر في الخلق، وأهمها مادة

الكولسترول التي يصنعها الجسم البشري، تارة  
كولسترول في الدم إذا ترسبت على جدران الأوعية  
الدموية سببت إرتفاع الضغط، وتارة تنقلب إلى هورمون  
يعطي صفات الذكر وأخرى تنقلب إلى هورمون يعطي  
صفات الأنثى وتارة تنتج فيتامين وأخرى تتشكل في



صورة الحموض الصفراوية. كل ذلك مع تغييرات طفيفة جداً مع الإحتفاظ بهيكله الأصلي.

والأمثلة كثيرة وكثيرة في دنيا الخلايا، ففيها استعداد تام للتكيف مع البيئة المحيطة في مختلف المجالات.

**والثاني:** حينما يبدأ خلق الجنين في الرحم فكل خلية تعرف وظيفتها، فطائفة من الخلايا تختص بالحواس وأخرى بالعظام، وثالثة بالعضلات، ورابعة بالأجهزة، وهكذا تقوم كل مجموعة خلوية ببناء جهاز خاص متعاونة مع غيرها، بحيث أن كل جهاز يأخذ مكانه الطبيعي المحدد له

(لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ) ﴿٦﴾ (١)

ولذا لم نجد أن العين تنمو في الصدر، أو أن اليد انشقت من البطن، أو أن الأذن نبتت على الكتف، وأن ثقوب الأنف تفتح إلى الأعلى وإن الفم فتق خلف الرأس (يا

(١) سورة التحريم: الآية ٦

أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ  
فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ (١)

ومن هنا قال بعض العلماء: أنه لا يوجد في عالم الطبيعة أمر أعجب من تقسيم الخلايا وظائفها، فتقسم الخلايا تلقائياً إلى فرق مختلفة لتعمل عملها المعين لها.

**وأما الثالث:** فان بدن الإنسان أو أي كائن حي إذا جرح تأتي الخلايا الإحتياطية من كل صوب لجبران النقص الذي حدث من جراء الجرح، فعندئذ يندمل الجرح، فالخلايا تفهم وظيفتها وتعلم متى تبدأ الوظيفة ومتى تنتهي، فتتوقف عن العمل عندما يندمل الجرح.

كما ان هناك دوداً إذا قطع رأسه يصنع لنفسه رأساً جديداً.

وان نجم البحر إذا قطعت أعضاؤه فيوجد منه سمكاً مستقلاً آخر من نفس نوع نجم البحر  
(الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ﴿٣﴾) (٢)

(١) سورة الإنفطار: الآيتان ٦، ٨

(٢) سورة الأعلى الآيتان ٢، ٣

واما الرابع: فله نظائر كثيرة ومدهشة في الحيوانات.

١. ان ثعابين الماء (١) حينما تبلغ من العمر خمسة أعوام أو أكثر تغادر البرك التي تعيش فيها في أوروبا وتذهب إلى البحر، وثعابين السمك في الإقليم المصري تخرج من النيل، وتسبح إلى البحر الأبيض المتوسط، وتبدأ جميعها رحلة لا يكاد يصدقها العقل إذ تعبر المحيط الأطلسي حتى تصل إلى بحر (سر جاسو) بالقرب من (برمودا) حيث تلتقي بالثعابين التي نزحت من أنهار أمريكا، فتتهبط إلى عمق بعيد في المحيط حيث تضع بيضها وتموت بعد ذلك، وحيثما يفقس البيض تخرج منه اليرقات، فتعود إلى البرك والأنهار مرة أخرى، فاليرقات التي أبواها من أوروبا وأفريقيا تتجه إلى أوروبا وأفريقيا، والتي أبواها من أمريكا تتجه نحو

(١) سمكة تشبه الحية، وان هذه الثعابين لا تضع بيضها إلا في قاع البحر الذي تكون نسبة الملح فيه ٣٥٪ ويكون البعد عن سطح البحر ١٢٠٠ قدماً حيث لا ينضج إلا مع توفر هذين الشرطين

أمريكا، ولا يستطيع أحد أن يدرك كيف تعرف هذه اليرقات الصغيرة طريقها إلى موطنها في رحلة يبلغ طولها الفين أو ثلاثة آلاف ميل وتستغرق سنتين أو أزيد.

٢. ان الفراش حين يصل إلى الطور الثالث من حياته يضع بيضه على هيئة دوائر على الأوراق الخضراء فلا يفسد إلا في الفصل التالي فيخرج على هيئة ديدان صغيرة، في الوقت الذي تكون الأم قد ماتت، فكيف اتيح للفراش ان يعرف نجاحه فيما قام به من عمل، ويدرك انه هياً بذلك للصغار رصيلاً ضخماً من الغذاء مع انه لم يشهد ذلك (١)

سبحان الذي خلق كل شيء فقدره تقديراً. (٢)

(١) فلسفتنا / ٣٦٧

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢

## حدوث العالم

العلم يقول: إن العالم في طريقه إلى التحلل والفناء وإن المادة تتبدل إلى طاقة، والطاقة الفعالة تتبدل إلى طاقة ساكنة وان قوانين (الديناميكا الحرارية) تدل على أن الكون يفقد حرارته تدريجياً، حتى يصل اليوم الذي تتساوى فيه الحرارة مع ما يجاوره من الفضاء.

فلو لم يكن للعالم بداية لكانت جميع ذرات الكون قد تبدلت إلى طاقة منذ زمن بعيد، ولكانت حرارة العالم قد انتهت.

وقانون "لاوازيه" القائل "بان المادة لا تفنى ولا تُخلق من عدم" لا يمت بصلة إلى تفسير الكون حدوثاً وأزلاً، بل انه ناظر إلى تحولات المادة فيزيائياً فهو يقول: إن التحولات الطارئة على المادة لا تمس ذات المادة، بل الصورة، والمادة تبقى متحفظة في جميع الصور المختلفة، فالمادة لا تفنى ولا تحدث إنها الفاني والحادث الصورة.

**يقول العلماء:** بأن بعض المواد في سبيلها إلى الزوال أو الفناء، ولكن بعضها يسير نحو الفناء بسرعة كبيرة والآخر بسرعة ضئيلة، وعلى ذلك فإن المادة ليست أبدية، ومعنى ذلك أيضاً أنها ليست أزلية، إذ إن لها بداية، وتدل الشواهد من الكيمياء وغيرها من العلوم على أن بداية المادة لم تكن بطيئة أو تدريجية بل وجدت بصورة فجائية (١)

أضف إلى ذلك مسألة الحياة التي باءت جميع الجهود بالفشل الذريع في تفسيرها بالمادة غير الحية، وأنه لا يمكن حصول الحياة إلا من الحياة، لأن هذه الكرة الأرضية لم تكن صالحة للحياة في وقت قديم ولا يمكن أن تنتقل الحياة من سائر الكرات فالحياة قطعاً حادثة في هذه الكرة (٢)

(١) الله يتجلى في عصر العلم ص ٣١

(٢) قال ادوارد الوثر كسيل: وهكذا اثبتت البحوث العلمية. دون قصد. ان هذا الكون بداية، فاثبتت تلقائياً وجود الإله، لأن كل شيء ذي بداية لا يمكن ان يبتدىء بذاته ولا بد ان يحتاج إلى المحرك الأول الخالق الإله. (الإسلام يتحدى ٥٥)

## المادة والحياة:

إن الحياة سر من الأسرار الكونية، وآية من أكبر آيات الله في الكون، وإن مسألة الحياة من أهم دلائل التوحيد الذي تطمئن النفس إليه ويزداد الإيمان بالله العلي القدير وهذا الدليل يتألف من مقدمات اربع:

١. يعلم الكل أن المادة في ذاتها فاقدة للحياة.
٢. ولا خلاف في أن الحياة إنما تأتي من الحياة، أي انها لا تنشأ إلا من الحياة، وأما نظرية التوالد الذاتي فقد ثبت بطلانها علمياً، على أن التوالد الذاتي إذا كان طبيعياً لتكرره، والحال أنه لم يتكرر منذ الآماد البعيدة، إذ ان التوالد الذاتي إذا كان قد تحقق لأول مرة طبق نواميس الطبيعة فانه لا يتوقف، بل يتكرر طبق نواميس الطبيعة، مثل وجود الماء فانه يتكرر كلما وجد التركيب الخاص بين الأوكسجين والهيدروجين.
٣. إن الأرض في البداية لم تكن صالحة للحياة عليها لحرارتها العالية جداً.

٤. لا يمكن نقل الحياة من الكرات الأخرى، (١) وان مزاعم البعض بان الحياة نزلت إلى الأرض محمولة على نيزك من النيازك التي تسقط على الأرض من السماء أصبحت باطلة علمياً، ولو سلمنا بهذا فإننا نطرح نفس السؤال حول وجود الحياة في تلك الكرة، إذ أنها أيضاً لم تكن في البداية صالحة للحياة. فمن أين نشأت الحياة؟ ومن هو خالقها؟ ليس في امكان الملاحظة إلا أن يقولوا الله.

والماديون لما عجزوا عن بيان بداية الحياة على الأرض، إذ أنهم رأوا حسيّاً ان الحي لا يتولد إلا من الحي، لجأوا إلى عدة مزاعم لتحليل وجود الحياة على الأرض وحاولوا تفسير الحياة بالمفهوم المادي الخالص، ولكن هذه المحاولات بأجمعها باءت بالفشل.

(١) يقول اوبارين فسنكوف في كتابها (الكون) ان مئات التجارب تثبت ان الحياة لا يمكن ان تستقل من كرة إلى كرة اخرى (القرآن والعلم الحديث)



١. ألتولد الذاتي، فزعموا في تفكيرهم السطحي أن الديدان التي تتكون في قطعة اللحم تولدت ذاتياً دون تسلل الحياة من حياة أخرى. ولكن التجارب العلمية أثبتت أن الديدان لا تتوالد إلا بجراثيم الحياة الموجودة في القطعة من اللحم.

٢. التولد الذاتي في تفكيرهم التجريبي، وذلك حينما فهموا بالمجهر أن قطرة الماء من المطر لا توجد فيها جراثيم، فزعموا ان الجراثيم فيما بعد على طريقة التولد الذاتي.

ولكن التجربات العلمية الجديدة قامت بالقضاء على هذه النظرية قضاء حاسماً حيث أثبتت أن الجراثيم والمكروبات التي تعيش في الماء حيوانات مستقلة ترد من الخارج إلى الماء، ثم تتوالد فيه على طريق الحياة من الحياة.

٣. التولد الذاتي بالتخمير أي أن الحياة توجد في المادة من تخميرها.

ولكن هذه المفروضة أيضاً سقطت عن قيمتها بعد ما  
ثبت بالتجربة العلمية أن المادة لو قطعت علاقتها بالخارج  
وحفظت بمفردها لا يحصل أي تخمير، ولا تتولد الحياة  
إلا إذا وردت الحياة من الخارج فتتوالد الحياة فيها على  
طريق الحياة من الحياة.

## فصل: وحدانيته تعالى

١. عقيدتنا في وحدانية الله تبارك و تعالى عبارة عن وحدانيته تعالى في ذاته، في أفعاله، في صفاته، وفي العبادة والخالقية. ونعتقد ان الإختلاف في الذات والصفة غير متصور، لأن تصور إنفكاك الذات والصفات يلزم منه إمكان تصور الذات من دون الصفات، كما ان إنفكاك الزوجية عن الأربعة غير متصور، كذلك إنفكاك الذات والصفات في الله تعالى غير متصور.

٢. كانت دعوة الأديان كلها تركز على التوحيد الخالص عن جميع أقسام الشرك .

٣. إن وجود الله تبارك و تعالى لا يتصور أن يحدّ بحدّ، فهو غير محدود و غير المحدود لا يتعدد، كما قال إمام العارفين على بن أبي طالب :

”من أشار اليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد

عدّه“ (١)

فتصور المحدودية عين تصور التعدد، كما لو  
فرضنا: ان العالم غير محدود لا يمكن أن يكون إلى جانبه  
عالم آخر، فإن غير المحدود لا يمكن ولا يتصور أن يكون  
متعددًا.

٤. وحدة النظام تدل على وحدة المنظم: ان النظام السائد  
على العالم واحد فالعالم يصرح بأن المنظم واحد، لأن  
إنسجام الكامل في تدبير العالم أول دليل على أن المدبّر  
واحد كما سئل هشام عن الإمام الصادق : ما الدليل  
على أن الله واحد؟

قال :

”اتصال التدبير و تمام الصنع، كما قال

تعالى: لو كان فيهما الهة الا الله لفسدتا“ (٢)

(١) نهج البلاغة. خطبه ١

(٢) التوحيد، باب الرد على الثنوية والزنادقة، ج ١ ص ٢٥

كما أن الشمس والماء والهواء والتربة، وتبادل وسائل الحياة بين الحيوانات والنباتات كل ذلك في صالح الجميع، فجميع الموجودات من الحيوانات و النباتات يتمتعون من مائدة واحدة، ويستنشقون من هواء واحد، ويستفيدون من مصدر واحد، كل ذلك دليل على أن الخالق واحد والرازق واحد والمدبّر واحد.

### صرف الوجود لا يتعدد

لقد تحقق في وجود الله تعالى أنه وجود صرف لا يشوبه شيء آخر من النقص والفقدان، ومعلوم أن الوجود إذا كان مجرداً من أيّ خليط لا يمكن أن يثنى ويتعدد.

سئل الإمام على عن وحدانية الله تعالى، فقال: إن للوحدة أربعة معانٍ، إثنان منها لا يليقان لله تعالى، وإثنان منها ثابتان له تعالى، فقال:

أما اللذان لا يجوز عليه فقول القائل، واحد، يقصد به باب الأعداد فهذا ما لا يجوز، لأن ما

لا ثاني له لا يدخل في باب الأعداد، اما ترى،  
 أنه كفر من قال انه ثالث ثلاثة، وقول القائل:  
 هو واحد من الناس يريد به النوع من الجنس،  
 فهذا ما لا يجوز عليه، لانه تشبيه، وجل ربنا  
 عن ذلك و تعالى.

وأما الوجهان اللذان يشبان فيه، فقول القائل:  
 هو واحدي ليس له في الأشياء شبه كذلك  
 ربنا، وقول القائل أنه عزوجلّ أحدي المعنى،  
 يعنى به أنه لا ينقسم في وجود و لا عقل ولا  
 وهم كذلك ربنا. (١)

## التعدد يستلزم التركيب

لو كان هناك واجب وجود آخر يستلزم تركيب  
 كل واحد منهما من شيئين، وهما ما به الإشتراك، وما به

(١) توحيد الصدوق باب معنى الواحد ج ١ ص ٨٣، ٨٤

الإمتياز، وان واجب الوجود بالذات لا يمكن أن يكون  
مركبا من الأجزاء، عقلية كانت أو خارجية، لأن المركب  
يحتاج إلى الأجزاء، والمحتاج لا يكون واجبا.





# الباب الثالث

## التوحيد ومراتبه



## التوحيد ومراتبه

التوحيد في مصطلح الكلام ينقسم إلى نظري و عملي.  
 التوحيد النظري له مراتب: توحيد الذات، توحيد الصفات، توحيد الأفعال، وتوحيد الآثار. وفيما يلي بيان هذه المراتب، حسب ما جاء في كتاب "الكلام الإسلامي المعاصر" ملخصاً.

### التوحيد الذاتي

تنقسم هذه المرتبة من التوحيد الى قسمين: توحيد واحد، و توحيد أحدى. أما التوحيد الذاتي الواحدى، فيعني توحيد تبارك و تعالى في الوجود الذاتي، والأيمان بوحدانية واجب الوجود بالذات، وإنكار أى شريك أو شبهه أو نظير للحق تعالى.

وأما التوحيد الذاتى الأحدي فيعني: إنكار أيّ لون من ألوان التركيب العقلي أو الوهمي أو الخارجي لله تعالى وإثبات بساطته.

## التوحيد الصفاتي

يعني: إن صفات الله تعالى عين ذاته، وإن القول بزيادة صفات الكمال على الذات المقدسة خطأ. إن العدلية تقول وتعتقد أن صفاته تعالى ليست زائدة على ذاته تعالى، بل هي عين ذاته. بينما الاشاعرة تقول: ان صفاته زائدة على ذاته تعالى، ومعناه أنه تعالى عالم بعلم قادر بقدره وحىّ بحياة إلى الآخر.

ومن هنا قيل: إن واجب الوجود بالذات هو الله تعالى و صفاته، وقد كفرت النصارى بإثبات ثلاثة من القدماء، فما بال الثمانية أو أكثر، مشيراً إلى صفات الله الثبوتية الثمان.

أجابوا عن ذلك بقولهم: وهى لا هو ولا غيره،  
يعني: ان صفات الله تعالى ليست عين الذات ولا غير  
الذات، فأوجدوا برزخاً بين العينية والغيرية، وعليهم  
تفسير هذا البرزخ.

## التوحيد الأفعالي

وتعني هذه المرتبة التوحيدية إسناد جميع الأفعال  
إلى الله تعالى، من الخالقية، والرازقية، والربوبية، والمالكية،  
والحاكمية.

## التوحيد في الخالقية

ويعني ذلك: أن لا خالق إلا الله، وأنه هو الذي  
خلق الكون،

وإذا كان هذا الأمر مسلماً، أن الله واجب الوجود،  
وسائر المخلوقات ممكنة الوجود، فلا يعقل أن ينتهى شئ  
إلى ممكن الوجود، أو فقل: إذا كان الموجودات كلها ينتهى  
في وجودها إلى الله فلا يمكن أن ينتهى إلى غيره تعالى.

## التوحيد في التدبير

يعني: إن تدبير العالم منحصر في الله تعالى، وأن لا شريك له في تدبير العالم وتنقسم التدبيرية إلى تكوينية و تشريعية:

أما المدبرية التكوينية، فتعنى أنها هي وحدها تتولى تدبير السنن و نواميس الطبيعة، وما وراء الطبيعة في عالم الممكنات.

وأما المدبرية التشريعية، فتعنى أنها هي وحدها تتولى التقنين والتشريع الهادف إلى هداية الإنسان وسعادته الدنيوية والأخروية.

## الخلق والتدبير

إن التدبير في المخلوقات من الله تعالى ليس منفكا عن التدبير، بل أن الله خلق العالم، والتدبير كامن في نوعية الخلق، فخلق الماء وجعل التدبير في طبيعة الماء، وخلق

التراب وجعل فيه خاصية الإنبات، وخلق الأرض وجعلها صالحة للحياة، فالتدبير في داخل الخلق وليس بخارج عنه، فالخلق والتدبير لا ينفك أحدهما عن الآخر. كما أن الله خلق كل شيء وودّع في كل شيء الهداية التكوينية التي تعود الى التدبير، كما قال تعالى: رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴿١﴾

### التوحيد في الحاكمية والولاية

لما كان الله تعالى هو الرب الخالق القادر المالك للكون والإنسان، فإن الولاية والحاكمية لله تعالى، فلا أحد يتمتع بالاستقلال بالحكم أو التشريع دونه وهو وحده الحاكم والولي على أنفس الناس وأموالهم، وليس أحد سواه يملك هذه الولاية، إلا إذا كان بإذنه تعالى.

## التوحيد في العبادة

العبادة ليست عبارة عن مطلق التذلل والخشوع،  
فإن التذلل والخشوع للوالدين ممنوح من الله تعالى، حيث  
يقول تعالى:

وَاحْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ  
رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ (١)

بل العبادة عبارة عن التذلل والخشوع أمام الرب والخالق.  
كما قال تعالى:

إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ  
فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ (٢)

وقال تعالى:

إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا  
صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ (١)

(١) الاسراء الآية ١٢٤

(٢) سورة الانبياء الآية ٩٢



وقال تعالى:

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۖ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ  
فَاعْبُدُوهُ (٢).

والشرك أن يقوم الإنسان بالتذلل و الخشوع أمام احد  
يعتقد انه ربّ أو خالق، وهو ليس كذلك.

فجعل مطلق التذلل و الخشوع شركاً، خطأ  
فاحش.

(١) سورة آل عمران الآية ٥١

(٢) سورة الانعام الآية ١٠٢

## فصل: الجبر و الإختيار

هل أن أعمال العباد مخلوقة لله تعالى، وأن العبد ليس له أىّ إختيار في الفعل أو الترك.

أو أن العبد له الإختيار في الفعل والترك، وأن إرادة الإنسان نافذة على عمله، وأن العمل مصدره الإرادة، والإرادة في إختيار الإنسان، فيه إختلاف.

**فقال الأشاعرة:** الله تعالى خالق لأفعال العباد، من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان.

**وقالت المفوضة:** أن الله تبارك و تعالى قد فوّض الإنسان قدرة القيام ببعض الأفعال، وأن الله لا يتدخل في الفعل والترك، وإنما الأمر مفوّض إلى العبد، اختار هذا القول بعض المعتزلة.

**قالت الإمامية:** لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين (١) إن أئمتهم عليهم السلام قد بين لهم سبيل الرشد، فقد ورد إليهم قول إمامهم: لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين أمرين.

يعني: أن الله قد أعطى الإنسان قدرة القيام بافعاله، وأن إعطاء الفعلية لهذه القدرة بيد العبد، فقال تعالى: إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً.

أن للفعل الصادر عن العبد نسبتين واقعيتين: إحداهما نسبته إلى فاعله المباشر بإعتبار صدور الفعل عنه بإختياره، و ثانيهما نسبته إلى الله تعالى، بإعتبار أنه معطى الحياة والقدرة في كل آن وبصورة مستمرة حتى في آن إشتغاله بالعمل.

وأن الإيثار بالجبر لا يجمع أمر الله ونهيه، فإذا كان فعل الذنب من الله فلا معنى للمنع عنه، وإن كان عمل

(١) الكافي ١/ ١٦٠

الخير من الله فلا معنى للأمر به، ولا يبقى وجه أو مبرر للأوامر والنواهي.

ألقاه في اليمّ مكتوفا وقال له: إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَبْتَلَّ  
بالماء.

**تقول الأشاعرة:** أن الله خالق والعبد كاسب، ويقول في توجيه الكسب: أن صرف العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسبٌ، وإيجاد الله تعالى الفعل عقيب ذلك خلقٌ.

**يلاحظه عليه:** إن كان لصرف القدرة وإرادة الفعل تأثيراً في وجود الفعل، فهذا خلاف ما ثبتناه من خلق الأفعال، وإن لم يكن له تأثير في وجود الفعل فلا يكون للكسب واقعية في الخارج. وايضاً أن توارد القدرتين على فعل واحد محال، كما أن توارد العلتين على معلول واحد محال.

## الجبر والشرك

إن لنظرية الجبر جذور في عهد الشرك، إذ أن المشركين يعتقدون موقف الجبر،

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا  
 مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا  
 حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ (١)

وقال تعالى:

سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا  
 أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا (٢)

## نظرية الجبر في التاريخ

وقد نقل القاضى عبدالجبار المعتزلي عن شيخه  
 الجبائى: إن أوّل من نشر عقيدة الجبر معاوية بن أبى  
 سفيان، وقد تصدى لذلك لأجل تبرير أفاعيله الباطلة،  
 وإسباغ المشروعية عليها (٣).

(١) سورة النحل الآية ٣٥

(٢) سورة الانعام الآية ١٤٨

(٣) المغنى، لقاضى عبد الجبار ٨ / ٤. كما في الكلام الاسلامي المعاصر



## الباب الرابع

# التعرف على صفاته الله تعالى





## التعرف على صفاته الله تعالى

إن التعرف على بعض صفاته تعالى ميسور للمؤمن بفضل ما لديه من قوة العقل والفكر والنظر فيما ورد عن الله عزوجل وعن رسوله ﷺ من النص على صفاته واسمائته في الكتاب والسنة.

هناك فرقة قاموا بتشبيهه الله بالإنسان، فأثبتوا لله دماً ولحماً وشعراً وعظماً ويجوز عليه المصافحة والانتقال.

يقال: إنه سئل طالب في المدرسة: بم تعرف ربك؟ قال: برجله المحروق، مشيراً إلى رواية وردت في صحيح البخاري رقم الحديث ٦٦٦١.

لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى يضع ربّ العزة فيها قدمه، فتقول: قط قط وعزّتك.

وفرقة ثانية تقول: بعدم إمكان التعرف على صفات الله تعالى، هذا الموقف يسمّى بموقف التعطيل، كما نقل عن سفيان بن عيينة انه قال: ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره تلاوته والسكوت عليه.

## الموقف بين التشبيه والتعطيل

هذا الموقف يختار الطريق الوسط بين هذين  
الموقفين، ويقول:

أن الله تعالى قد بين في كتابه الصفات الكمالية لذاته  
تعالى، و زوّد الانسان العقل والفكر يقدر بهما فهم كلامه  
تعالى في حدود كماله وجماله،

كقوله تعالى: **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**، وقوله تعالى: **هُوَ اللَّهُ  
الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا  
فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** (٢) وغير  
ذلك كثير في كلام الله تعالى.

وهناك قول لإمام الموحدين علي بن أبي طالب :  
يأمر فيه الأخذ بالطريق الوسط.

لم يطلع العقول على تحديد صفته ولم  
يحجبها عن واجب معرفته (٣)

(١). سورة الجاثية الآية ٣٧

(٢) سورة الحشر الآية ٢٤

(٣) نهج البلاغة خطبة ٤٩

## الصفات الثبوتية

صفات الله الثبوتية عبارة من أنه تعالى عالم، قادر، حيّ، مرید، سمیع، بصیر، متکلم، باق، واحد.

### ١. علمه تعالى

إن العلم عبارة عن حضور المعلوم لدى العالم، وهذا التعريف يشتمل العلم الحضورى والحصولى.

ان هناك إجماع على أن العلم من صفات الله تعالى الذاتية الكمالية، والجدير بالذكر أن نفس وجود كل شئ عين معلوميته لله تعالى، ولا فرق في ذلك بين الكلي والجزئي.

### ٢. قدرته تعالى

إن القدرة من صفات الله الذاتية الكمالية، فالله سبحانه هو القادر المطلق، إن شاء فعل، وان لم يشأ لم يفعل.

والدليل على قدرته تعالى، أحكام الصنع وإتقانه،  
 (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) (١) قال الإمام علي :  
 ”وأرانا من ملكوت قدرته، وعجائب ما نطقت  
 به آثار حكمته“ (٢)

والسؤال: هل أن الله قادر على خلق مثله، ليس في  
 محله، إذ أن الله بالفرض إذا خلق آخر يكون مثله، لا يمكن  
 أن يكون مثله، لأنه مخلوق، والمخلوق لا يمكن أن يكون  
 مثل الخالق.

### ٣. إرادته

يعد من صفاته الثبوتية أن الله تعالى مريدٌ، وأن  
 إرادته من صفاته الذاتية، لأن معنى كون الله مريداً كونه  
 مختاراً في إرادته، فكونه مختاراً من صفاته الذاتية لا من  
 صفاته الفعلية.

(١) سورة السجدة: الآية ٧

(٢) نهج البلاغة خطبة الأشباح ٩١

## ٤. التكلم

إن التكلم من صفات الله الفعلية، وكون الله متكلماً من العقائد الإجماعية لدى المسلمين، إلا أن هناك إختلافاً بينهم في بعض الجهات.

ففى تفسير حقيقة الكلام وفي حدوثة وقدمه وقعت إختلافات دامية في عصر الخلفاء.

## نظرية الحنابلة

إن فرقة وفي مقدمتهم الإمام أحمد بن حنبل يرى أن القرآن ليس بحادث وأنه قديم، وقالوا: فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمى كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله عزوجل ووقف ولم يقل مخلوق او غير مخلوق فهو أخبث من الأول (١)

## نظرية المعتزلة

قالت المعتزلة: أن القرآن مخلوق محدث أنزله الله على نبيه ليكون علماً و دالاً على نبوته.

## نظرية الشيخ الأشعري

إختار الأشعري أن القرآن ليس بمخلوق، وأن من قال بخلق القرآن فهو كافر (١) وبعد ذلك قام بإصلاح رأيه هذا بنظرية جديدة، وهو: أن المراد من كلام الله تعالى ليس القرآن المقروء، بل الكلام النفسي (٢).

## موقف الإمامية

إن الله تعالى هو الخالق وغيره مخلوق، والقرآن ليس هو الله بل القرآن غير الله فيكون مخلوقاً.

(١) الابانة: ٢١

(٢) مرادهم من الكلام النفسي هو تصور الكلام في نفس المتكلم قبل الكلام: ان الكلام لفي القلوب وإنما جعل اللسان على القلوب دليلاً.

## الصفات السلبية

والمراد من الصفات السلبية، سلب النقص والإحتياج، لقد ظهرت بعض الآراء السخيفة حول صفاته تعالى، مثل الحلول، والجهة، والرؤية، مما يستلزم التركيب والجسمية المنافية لوجوب الوجود بالذات، فيجب البحث حول صفاته السلبية.

### ليس بجسم

إن الله تعالى ليس بجسم، إذ أن الجسم عبارة عن الأبعاد الثلاثة الطول، والعرض، والعمق، وهذا يلزم التركيب، ومعلوم أن المركب يحتاج إلى أجزائه، والمحتاج لا يكون واجب الوجود.

### ليس في جهة ولا محل

فإن الواقع في جهة أو محل لا يكون إلا جسماً أو جسمانياً والله تعالى ليس بجسم ليس حالاً في شيء



فإن الحلول في شئ يستلزم الحاجة الى الغير والله  
غنى عن كل شئ.

## إنه تعالى ليس بمرئى

إن الإمامية إتخذت موقفاً حاسماً بأن الله تعالى لا  
يمكن أن يرى في محدودية حاسة البصر، لا في الدنيا ولا في  
الآخرة.

وأما الفرقة المجسمة يصفون الله تعالى بالجسم  
جوزوا رؤيته في الدنيا والآخرة، وأما الأشاعرة مع عدم  
قبول عقيدة الجسمية، قالوا: بجواز رؤيته في الآخرة، كما  
قال الشيخ الأشعري:

وندين بأن الله يرى في الآخرة بالأبصار، كما يرى  
القمر ليلة البدر يراه المؤمنون، كما جاءت الروايات عن  
رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم (١)  
والرؤية تتحقق عند وجود أمور كلها لا يمكن أن

يوجد فيها تعالى

**الاول:** الجهة، والجهة مستحيل على الله تعالى، إذ أنه  
يوجب تحديداً لوجوده تعالى.

**الثاني:** الرؤية تحتاج إلى إنعكاس الأشعة من المرئي على  
العين، وهذا يستلزم أن يكون الله سبحانه ذا أبعاد.

**الثالث:** الرؤية لا تتحقق عند القرب المفرط والبعد  
المفرط، وهذا يلزم أن يكون الله سبحانه و تعالى في مكان  
محدود.

إن الرؤية البصرية لا تليق بشانه تعالى، فالعقيدة بها  
باطل، كما أن طلب الرؤية كان جرماً إستحق العذاب عليه  
قال الله تعالى:

يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنزِّلَ عَلَيْهِمْ  
كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ  
أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً  
فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةُ يُظْلِمُهُمْ (١)

## الرؤية القلبية

هناك تعبير من معرفة الله تعالى بالرؤية القلبية، كما  
ورد عن أمير المؤمنين :

أفأعبد ما لا أرى؟ فقال: كيف تراه؟ فقال:

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، ولكن

تدركه القلوب بحقائق الإيمان (١)

وليس من المعقول أن يقال: كيف نؤمن على

موجود لا نراه

إن الانسان إنما يتمكن من درك ظاهر من هذه

الحياة الدنيا، وليس في إمكانه درك ساير أبعاد وجوده

فنحن نكشف الحقائق الغيبية من خلال هذه الظواهر،

وأن عدم الرؤية إذا كان دليلاً على عدم وجوده لخرج كثير

من الحقائق العلمية عن كونها واقعية. أمثال:

١. تبدل المادة بالطاقة

(١) نهج البلاغة خطبه ١٧٩

٢. ألكهرباء الموجودة في الأسلاك

٣. أمواج الراديو

٤. الحياة الموجودة في الاحياء

٥. إن الأشياء التي نراها جامدة هادمة، ولا نرى أى

حركة فيها، مع أنها في الواقع عبارة عن الحركة

المتحولة المتغيرة وفي الدوران، وغير ذلك كثير من

الحقائق المدركة ندركها من الآثار.

## فصل: العدل الإلهي

### التحسين والتقبيح العقليان

إختلف المسلمون في حسن الأفعال وقبحها، هل  
أنهما عقليان أو شرعيان؟

فقال الأشاعرة: لاحكم للعقل في حسن الأفعال  
و في قبحها، بل الحسن ما حسنه الشارع والقبيح ما قبحه  
الشارع.

وقالت العدلية: إن هناك أفعالاً حسنةً وقبيحةً  
بالذات عند العقل مع قطع النظر عن حكم الشارع،  
والشارع لا يأمر إلا بما هو حسن، ولا ينهى إلا عن ما هو  
قبيح.

ولتشخيص محل النزاع لابد أن نبحث عن محل النزاع، لأن الحسن والقبح يستعملان في معان ثلاث.

**الأول:** يطلق الحسن والقبح ويراد بهما الكمال والنقص، كالعلم، فانه حسن لكماله، والجهل قبيح لنقصه، وليس هذا المعنى محلاً للنزاع.

**الثاني:** يطلق الحسن والقبح ويراد بهما الملائمة للنفس والمنافرة لها، كقولنا: هذا المنظر جميل حسن وهذا المذوق حلو حسن، وفي الأفعال مثلاً الأكل عند الجوع والشرب عند العطش حسن، وليس هذا المعنى أيضاً محلاً للنزاع.

**الثالث:** يطلق الحسن والقبح ويراد منها المدح والذم، ويقعان بهذا المعنى وصفا للأفعال الإختيارية فقط، و معنى إدراك العقل الحسن والقبح حكمه للفعل والترك، أى يحكم العقل بفعل الحسن وترك القبيح، وهذا المعنى هو محل النزاع، فالأشاعرة انكروا أن للعقل إدراك هكذا،

بينما العدلية تقول: أن للعقل إدراك وحكم لفعل الحسن وترك القبيح.

ملاحظة: إن الفعل الواحد قد يكون حسناً أو قبيحاً بجميع المعاني الثلاثة كالتعلم، والحلم، والإحسان، فإنها ملائمة للنفس، وكمال لها، ومما ينبغي أن يفعل.

ثم إن محل النزاع هو العقل العملي في مقابل العقل النظري، فإن المدرك (بالفتح) إن كان مما يفعل أولاً يفعل، مثل حسن العدل وقبح الظلم، فيسمى إدراكه عقلاً عملياً.

وإن كان المدرك (بالفتح) مما ينبغي أن يعلم، مثل قوله: أكل كل أعظم من الجزء الذي لا علاقة له بالعمل، فيسمى إدراكه عقلاً نظرياً.

إستدلّ العدلية: أنه قد يدرك حسن العدل و قبح الظلم حتى منكر الشرائع.

١. إن حسن الإحسان وقبح الظلم يدركه كل عاقل حتى منكر الشرائع.

٢. إن طاعة الأوامر والنواهي الشرعية واجبة عند الطرفين.

نحن نسئل الأشاعرة: من أين يثبت هذا الوجوب؟  
فإن أجابوا: إن هذا الوجوب يثبت بأمر من الشارع،  
ونحن ننقل الكلام إلى هذا الأمر و نسئل منهم من أين  
تجب اطاعة هذا الأمر، فإن كان هذا الوجوب عقليا  
فهو المطلوب، وإن كان شرعيا فلا بد له من أمر و  
طاعة، ونحن ننقل الكلام إليه، وهكذا الى غير النهاية،  
ينتهى إلى الوجوب العقلي.

٣. إن ثبوت الشرائع كلها يتوقف على تحسين وتقبيح  
العقليين، لأنه إن كان ثبوتها عن طريق شرعي  
لاستحالة ثبوتها للزوم التسلسل.



٤. لو كان الحسن والقبح شرعياً لا يمكن أن يثبت حسن وقبح شرعاً، لأن ما يخبره الشارع من حسن وقبح لا يثبت أنه صادق لعدم قبح الكذب من الشارع.

### دليل النافين

لو كان الحسن والقبح عقليان، لما كان فرق هناك بينه وبين قولنا: أكلت أعظم من الجزء، وأن الواحد نصف الإثنين.

الجواب: إن هذا ليس من محل النزاع لكونه من العقل النظري ومحل النزاع هو العقل العملي.

## عقيدتنا في العدل

إن الله سبحانه و تعالى عادل في جميع أحكامه وأعماله الصادرة عنه وأنه تعالى أمرنا بالعدل والقسط، ونهانا عن الظلم والجور، ونحن نعتقد أن الله منزّه عن جميع العيوب والنقائص، وليس عيب أو نقص أسوء من عدم العدل وفقدان القسط.

أما الأشاعرة الفرقة الكلامية بين المسلمين، تقول: إن أفعال الله لا تتصف بالعدل، وأن كل عمل يصدر من الله لا يتصف بالظلم، ولو كان ذلك إدخال المشركين في أعلا عليين، وإرسال المؤمنين الى أسفل السافلين في النار، لأن صفة العدل والظلم تختص بأفعال العباد، وأفعال الله لا تقاس بأفعال العباد.

أما العدلية من الإمامية والمعتزلة، تقول: ان الله سبحانه و تعالى عادل في جميع أعماله التشريعية والتكوينية،

وأن العدل حسن بذاته مع النظر عن من صدر عنه العدل،  
سواء صدر من الله أم من العباد وأن الظلم قبيح بذاته  
سواء صدر من العباد أو (معاذ الله) من الله.

### نكتة هامة

إن أفعال العباد عند الأشاعرة مخلوقة لله تعالى،  
فأفعالنا وإن كان تصدر عنا فإنها مخلوقة لله تعالى أى أن  
أفعالنا في الواقع أفعال الله تعالى وأفعال الله عندهم لا  
تتصف بالحسن والقبح، فأفعالنا لا تتصف بالحسن والقبح  
وينتج جليا: أن أفعال العباد لا تتصف بالظلم، فظلم  
الصادر من الظالمين عمل من الله تعالى لا يمكن أن يتصف  
بالقبح،

والحال أن الله تبارك و تعالى يذم الظالمين في كتابه

وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ

يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾ (١)

إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ <sup>ط</sup> وَإِنْ تَكَ

حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا (١)

وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨﴾ (٢)

وغير ذلك من الآيات كثيرة

قُلْ اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ <sup>ط</sup> أَمْ عَلَى اللَّهِ ت

فَتَرُونَ ﴿٥٩﴾ (٣)

(١) سورة النساء الآية ٤٠

(٢) سورة آل عمران الآية ١٠٨

(٣) سورة يونس الآية ٥٩

## فصل: معضلة الشرور

من إثارات الملحددين وإيراداتهم على المؤمنين  
مسئلة خلق الشرور، ويقال: كيف خلق الله الشرور وهو  
عندكم مريد للخير، وأرحم الراحمين على عباده؟  
فكيف جاز وقوع الزلازل والسيول، وكيف  
جازت ولادة الأطفال مشوهى الخلقة؟ وأن كثيراً من  
الناس يعانون المرض والجوع، وقد يواجه الإنسان لكثير  
من الظلم من الأقوياء.

وقد قامت الحضارة الجديدة بقتل أكثر من مليار  
إنسان في غضون ثلاث مائة سنة الماضية، وما زال القتل  
والدمار جار عن طريق الإرهاب؟

أليس الله بقادر أن يخلق عالماً خالياً من هذه

الشرور؟

أجاب العلماء عن هذه الشبهات بعدة أجوبة نختار

منها ما يلي:

### ١. الشرُّ عدمٌ

يرى كثير من العلماء في شرق الأرض وغربها، أن الشرور عدميٌّ لا يحتاج إلى علة حتى ننسبه إلى الله أو إلى غيره، حتى نسأل بعد ذلك ما هو السبب أن خلق الله ما هو شرٌّ، فالفقر والمرض والموت أمور عدمية

يعني: أالفقر هو عدم الثروة. والمرض عدم الصحة، والموت عدم الحياة، والأعدام ليس لها علة سوى عدم العلة، ولتوضيح هذا المدعى الذي يبدو أنه من البديهيّات حاول بعض الفلاسفة إقامة البرهان لتوضيحه:

الشرُّ اعدام فكم قد ضلّ من يقول

باليزدان ثم الأهرمن (١)

وقد لا يرضى بعض الأعاظم عن هذا الجواب، بحجة أن الشر لا يكون عدمياً دائماً، لأن بعض الشرور،

(١) هادي سبزواري: شرح المنظومة ج ٣ ص ٥٢٨

مثل الألم من أشكال الوعي والإدراك، والإدراك أمر وجودي، لا يمكن جعله من الأعدام، فعدّ الشرّ من العدم لا يحلّ المسئلة.

## ٢. نسبة الشر

يقال في هذا الجواب، أن الشرّ أمر نسبي، أي أن الشرّ انها يكون شرّاً عند ما يقاس الى شئ آخر، فإذا غيرنا المقيس إليه لا يبقى شرّاً، أو فقل: لا وجود لشئ في الكون هو شرّ بالذات، وليس فيه جهة خير أبداً، مثلاً خاصية اللدغ للأفعى والعقرب هي سلاح تدافعان بها عن نفسيهما، فهي خير للأفعى والعقرب، وإن كان الإنسان وغيره قد يتضرر من هذه الخاصية، ولكن هذا الضرر هو ضرر بالعرض، وبالنظر إلى من لا يتسلح بهذه الوسيلة الدفاعية. مثلاً أن البيض أمر حقيقي، وأما كونه أكبر من بيض آخر نسبي، وهكذا الواحد حقيقي، أما كونه أولاً نسبي، وهكذا الأفعى في ذاته حقيقي، أما كونه ضاراً نسبي، أي أنه ليس بضرار بذاته، بل أنه ضار بالنسبة للآخرين.

فالشرور نسبية، وهي إما عدميٌّ كالفقر والمرض، وإما تكون أسباباً للعدم كالسيول والزلازل، فالشرور ليست مخلوقة بالذات بل هي مخلوقة بالعرض ومثال ذلك، الشمس سبب حقيقي للضوء، وسبب بالعرض بالنسبة إلى الظلّ.

ولكن عدمية الشرور وإن كانت حلاً لمشكلة الخلق من الله، ولكن يبقى السؤال في مسألة عدل الله تعالى، وهو لماذا لم يجعل الله الوجود مكان هذا العدم؟ وهل أنه ليس منعاً للفيض؟.

ولكن لا بد لنا أن ننظر إلى أمر آخر، وهو هل أن إنفكاك هذه الشرور من أمور العالم ممكن، أم ان عدم هذه الشرور يعود إلى عدم العالم كلّه نذكر هذه النقطة فيما يأتي إن شاء الله.

### ٣. التلازم بين الشرّ والخير

يرى أرسطو: أن العوالم الممكنة من حيث مقادير الخير والشرّ على أقسام خمسة: عالم كله خير محض، وعالم كله شرّ



محض لا خير فيه، وعالم يغلب فيه خيره على شرّه، وعالم يغلب فيه شرّه على خيره، وعالم يتساوى فيه الخير والشر. وما يتنافى مع صفات الله من هذه الأقسام الخمسة، هو خلق الشر المحض وخلق عالم شرّه أكثر من خيره، وعالم يتساوى فيه الخير والشرّ، ولم يُخلق الله مثل هذه العوالم، ولكن ترك خلق العالم الذي يغلب عليه الخير فراراً من الشر القليل الملازم له هو بحدّ ذاته شر على حدّ تعبير عدد من الفلاسفة.

وعلى ضوء هذا التقسيم يرى أكثر المؤمنين بالأديان، أن العالم المادي هو عالم يغلب عليه الخير، والعالم الذي هو خير محض هو عالم المجردات وكلاهما مخلوقان (١)

فالعالم المادي الموجود خيره أكثر من الشرّ الملازم له وهو خير من أن يترك خلقه.

## ٤. الشرور نتائج أعمالنا

أجاب البعض أن الشرور صلة تكوينية مع أعمال الإنسان، وأن الصلة بين أعمالنا وبين الشرور صلة السبب والمسبب، كما أن الجزاء عين العمل في تجسده الأخرى.

وفي القرآن الكريم:

وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ  
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ (١)

وهنا سؤال: وهو أنه يتلى الإنسان بشرٍ ناتج عن فعل إنسان آخر، وقد يقع الأبرياء الأذى والضرر، فلماذا يتلى هذا الإنسان البرئ بالشر؟

أجاب عنه: إن هؤلاء الذين تراهم أبرياء في هذه الجريمة، فهم مرتكبون ذنبا في الواقع، في إختيار السكوت عند وقوع الجريمة أو ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال تعالى: **وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً** (٢) وقد ارتضى هذا الجواب لدى بعض العلماء.

(١) سورة الشورى الآية ٣٠

(٢) سورة الانفال الآية ٢٥

## ٥. الشر يلازم حكمة الخلق

وأصح الجواب عندي أن نقول: اذا تصورنا العالم بعيداً عن التفاوت والحرمان ونفي الشرور لانعدمت حكمة الخلق وأصبح العالم يسوده السكوت والجمود، فإذا تصورنا عالماً توجد فيه الصحة دون السقم، والقدرة دون العجز، والثروة دون الفقر، والعلم دون الجهل، والفرحة دون الهموم، والجمال دون القبح، والكمال دون النقص، فلا يمكن أن تحقق الصحة، والقدرة والثروة، والجمال، إذ الجمال إنما يتحقق في مقابل القبح، والعلم في مقابل الجهل فإذا انمحي أسباب الشرور من الوجود يصبح الإنسان اتفه من الأعشاب.

ونشرح كيف أن الخير يتربى في حجر الشرور، قال تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾) (١) ان القرآن لا يقول: بعد العسر يسراً بل يقول: مع العسر

(١) سورة الم نشرح الآيتان ٦،٥

يسراً معناه أن اليسر يصاحب العسر، فنعلم من ذلك أن المتاعب لازم لحصول التكامل، فلولا المحن والمشاكل، لا يمكن للإنسان نيل المرام.

ألكون غير قابل للتجزئة، وليس من الإمكان حذف البعض منها وإبقاء البعض الآخر. فعلى هذا لا يمكن تفكيك الشرور عن الخير، لأجل أن الوجود الإضافي لا ينفك عن الحقيقي، لو فرضنا أنه لا وجود للشرور فلا يمكن أن يوجد الخير مثلاً إذا لم يكن للجهل وجود معناه انه لا وجود للعلم فعلمنا من ذلك أن الخير يتكوّن في رحم الشرور.

## فصل: أسباب الإلحاد

إن الاعتناق بالدين فطري، والأمر الفطري لا يسأل عن اسبابه، إنما السؤال يطرح حول الإلحاد، لأنه خروج عن مقتضيات الفطرة.

إن وجود الملاحدة في عهد الحضارة الإسلامية لا يتجاوزون عدد الأصابع. ففي عصر الإمام جعفر الصادق كان زنادق عدة أمثال ابن أبي العوجاء، ابن المقفع، أبو شاکر وعبد الملك البصرى. الامام جعفر الصادق قال لابن أبي العوجاء: إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول، نجونا ونجوت. وإن يكن الأمر كما تقول نجونا وهلكت.

وقال الإمام الكاظم للزنديق عبدالكريم: إن يكن الأمر كما تقول وليس كما تقول نجونا ونجوت وإن

يكن الأمر كما نقول وهو كما نقول نجونا وهلكت. فاقبل  
عبدالكريم على من معه فقال: وجدت في قلبي حرارة  
فردوني فردوه ومات (١).

ونحن نذكر البعض من تلك الأسباب باختصار

### الاول:

الف: النظريات السائدة عند المسيحيين حول الله تعالى، أن  
من مسلماتهم أن عيسى المسيح ابن الله قد صلب كفارة  
لذنوب عباده.

ب: وجاء في انجيل متى اصحاح ٢٦: إن انسان قد أكل  
جسم الله و شرب دمه.

ج: من عقائدهم: إن الله يباشر في المظاهر الطبيعية، فالله  
يقوم بنفسه بانزال المطر، وأن الزلزال تحريك بيد الله وغير  
ذلك، فكلما اكتشفت الاسباب الطبيعية سقط الإله من  
انظار الناس.

(١) بحار الانوار (ط\_ بيروت) ج ٣ ص ٣٥، ٤٧

د: انكشف بطلان الهيئة البطليموسية القائلة بأن الارض هي المركز والسيارات تدور حولها، فالمسيحية كانت قد اخذت هذه النظرية من تعاليم دينهم، فلما بطلت هذه النظرية بكاملها سقط الدين من اعين الناس.

ه: قامت الكنيسة في أوروبا بتنفيذ أحكام الإعدام ضد الباحثين الذين يقومون بالتقدم العلمي في جميع المجالات. والعالم الفلكي الإيطالي، غاليليو، يعدم بالسمّ لأنه قال بدوران الأرض وأنها كروية.

فأحرق اكثر من ألف شخص كان جرمهم قبول قانون العلية، لأجل أن القول بقانون العلية خلاف القضاء والقدر.

ففي أيام سلطة الكنيسة قتل ما يربو خمسة ملائين، واحرق، ثلاثمأة وخمسين الف شخص بتهمة الارتداد.

وفي سنة ١٥٧٩ ميلادي، حكم على (هاروي)

لقوله بجريان الدم في عروق الانسان، بينما في سنة ١٢٦٠

ميلادي قال الخبير الإسلامي ابن النفيس: إن الدم يجري في عروق الإنسان ولم يتعرض له أحد من المسلمين.

**الثاني:** انظمة الرأسمالية، وقيام العلماء المسيحيين وراء هذه الانظمة الظالمة، وقام بالظلم على الطبقة المحرومة.

**الثالث:** مواقف اقتصادية: انتشرت اخيراً نظرية اكثر شيوعاً بين الناس: أن الدين عبارة عن حماية الرأسمالية.

**الرابع:** كان الملحدون هم اصحاب السلطة والقوة، فكان نفوذ آرائهم بين الطبقة المحرومة اكثر انتشاراً.

**الخامس:** تخلف العالم الإسلامي في مقابل الغرب وفي مقابل الملاحدة كان له اثر بالغ في نفوذ نظرية الالحاد

بينهم.



# الباب الخامس

## معالم الدين



## الدين والعلم

إن الدين يدعو إلى العلم، والمراد من العلم معرفة الإنسان بالواقع في مقابل الجهل بالواقع، ويشمل ذلك جميع العلوم من الفكرية والفلسفية والرياضية وعلوم التجريبية وعلوم النفس، والاجتماع والتاريخ وغير ذلك. ففي نظر الاسلام، إن الانسان يحتل الأفضلية من بين المخلوقات لأجل تأهله للتعليم، وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ (١)

فتفضيل آدم على الملائكة كان لأجل أنه كان في قوة التعلم والتكامل العلمي ولأجل أن الإسلام يقوم دائماً إلى جانب العلم في مقابل الجهل قامت في ظل الإسلام حركة

(١) سورة البقرة الآية ٣١

التعليم، والنهضة العلمية في المجتمع البشرى، وفي ظل الإسلام خرج البلاد الأوروبية من ظلمة الجهل والانحطاط، وجدير بالذكر انه لم تقع حادثة واحدة في المجتمع الاسلامي ضد تقدم العلم والعلماء، بينما قتل وحرق مآت الآلاف من العلماء في ظل المجتمع المسيحي الغير الإسلامي.

ثم انه من المتسالم عليه لدى المسلمين، أن تأثير الله تعالى ليس في عرض ساير العلل حتى يقال: أن عقيدة وجود الخالق يعارض العلم، بل يقول الاسلام: إن الله تعالى علة في طول العلل، وأن جميع العلل المادية تنتهى الى العلة العلل وهو الله تعالى.

## الدين والقيم الأخلاقية

الأخلاق عبارة عن نوعية السلوك الإنساني مع الإنسان الآخر فكل إنسان في حياته في المجتمع الإنساني يرتبط مع الآخرين في أداء واجبات و حقوق، وتحفظ الحرمات، والوفاء بالتعهدات، ومجازاة الإحسان بالإحسان والتجنب من الإيذاء، والإضرار بالغير، وغير ذلك من إختيار الإعتدال والسلامة في الفكر والعمل.

### والأخلاق ينقسم إلى قسمين

١. قسم الواجبات: وهو الذي يتوقف عليه تأدية الحقوق الواجبة ويعبر عنه بالقانون، وبالعدل، يعنى أن العمل بالقانون والعدل واجب أخلاقي على الإنسان.
٢. قسم المحسنات: وهو الأعمال الخيرية، مثل اعانة المساكين والفقراء و مساعدة المحرومين.

## الدين والأخلاق

إن التدين عبارة عن العمل بالواجبات الأخلاقية، والتي يستحسنها القيم الفطرية، إن التعاليم الإسلامية عبارة عن العمل بالأخلاق الفاضلة، والإحتفاظ بالقيم العادلة في المجتمع، من قبيل الوفاء بالعهد، وعدم الإعتداء على الآخرين، والإحسان والعفو وغير ذلك.

كما أن تعاليم الإسلام عبارة عن الإنزجار والتنجب عن الظلم والخيانة والإعتداء على الآخرين.

نذكر هنا بالمناسبة إرقاما عن مظاهر الأخلاق في الإسلام والحضارة الغربية.

يقول البروفسور محمد حميد الله في كتابه (رسول

الله في ميدان الحرب) بالأردوية:

كان رسول الله ﷺ يحكم على مساحة مليون

ميل مربع من كرة الأرض، وهذه المساحة تساوى مساحة

اروبا ما عدا الروس.

قدّم رسول ﷺ الله لأجل الحصول على هذه المساحة مائة وخمسين (١٥٠) قتيلًا فقط.

بنينا في الحرب العالمية الأولى قُتل تسعة ملايين، وترك ٢٢ مليون معوقين، وفي الحرب العالمية الثانية قتل ٣٥ مليون وترك عشرين مليون معوقين وفي غضون ثلاث مائة سنة الماضية قتل مليار و خمس وسبعين مليون شخص.

**وملخص القول:** ما من حكم من أحكام الإسلام إلا عبارة عن التحفظ لحقوق الآخرين، والتحفظ للحرمان، والتكافل والإعانة، والإيثار وما من حكم من أحكام الإسلام إلا وبجانبه تأدية حق، وحفظ ناموس.

ومن أبرز القيم الأخلاقية في الإسلام، وجوب الحفاظ على كرامة الإنسان المؤمن، وحفظ حرمة المؤمن، وحرمة إفشاء سرّ المؤمن، كحرمة التجسس والغيبة، قال تعالى:

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ  
 الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا  
 وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ  
 أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا  
 فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ  
 رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ (١)

إن الدين الإسلامي يقاوم هذا العمل الدني من  
 الناحية الأخلاقية الا وهو التتبع لعورات الآخرين  
 وكشف سواتهم.

ولا يغتب: الغيبة هي إفشاء السر. إذا ذكرت عيب  
 أحد أنت تعلمه والناس لا يعلمون فهذا إفشاء لسره، مما  
 يوجب الفضيحة له. وهذا حرام لأجل انها مس بكرامة  
 الانسان، وان كان الامر المنسوب اليه صادقا وان لم يكن  
 صادقا فيصبح الأمر اسوأ لانه يكون بهتاناً، وهذا اشد ذنبا  
 من الغيبة.



وهكذا يجرم النميمة لاجل انها توجب زرع الحقد  
والعداوة بين المؤمنين فالغيبة والنميمة عبارة عن بيان  
الواقع، ولكن الحرمة جاءت عن انتهاك الحرمة.

## دور الدين الثابت في العالم المتحول

ما من مجتمع إلا أنه يحتاج الى القانون، يفى  
بحاجاته الاقتصادية والسياسية، والعمرائية والحقوق  
الشخصية والاجتماعية، لأجل ان القانون ينظم الحياة  
الإجتماعية للإنسان، والحياة الإجتماعية دائماً يكون في  
معرض التغيّر والتحوّل، فلا بد من ان تؤخذ بنظر الاعتبار  
الحالات والظروف المتحوّلة.

وفي العصر الحاضر يواجه المجتمع بتحوّلات  
هائلة في جميع الميادين، فالإنسان في اشدّ الحاجة الى قوانين  
ثابتة ومتحوّلة.

القانون الثابت: ففي العصر الحاضر يقوم الخبراء بوضع  
قانون ثابت، يسمّونه "الدستور"

**القانون المتغير:** يقوم بوضعه اعضاء البرلمان، بوصفهم قوة تشريعية منتخبة وهذا موضع نقاش في موضعه من ان اعضاء البرلمان هل في امكانهم وضع قانون يفى بحاجات المجتمع؟

## الاسلام والتطور القانوني

يقال: إن الاسلام عبارة عن القوانين الثابتة، دوّنت قبل قرون، فلا تفي بحاجات المجتمع المتطور وإذا كانت الاوضاع قد تغيّرت في العصر الحديث تغيّراً هائلاً، فلا بد التغيير في المبادئ القانونية أيضاً

وللاجابة على هذا السؤال لابد لنا أن نتوجّه الى طبيعة التشريع الإسلامي، فإن في القوانين الإسلامي اصولاً طبق مقتضيات الفطرية الثابتة، وأصولاً طبق الاوضاع المتحولة.

هناك سوال يقوم باثارته المنكرون للدين، وهو: كيف يمكن أن يعالج الدين الثابت لمشاكل المجتمعات المتحولة؟

أجاب عنه العلماء بما يلي:

**أولاً:** إن أهم المسائل التي يواجه بها الإنسان ثابتة غير متغيرة.

**ثانياً:** ان بعض القوانين الإسلامية متغيرة، غير ثابتة ومن هنا يتضح إن الشريعة الإسلامية تشتمل على قوانين ثابتة ومرنة، وهي صالحة للتطور مع حاجات الزمن.

**الأول: الأمور الثابتة في الإنسان**

١. حب الانسان لأولاده ولوالديه وأقربائه
٢. الإحتياج إلى الأكل والشرب عند الجوع والعطش
٣. حب الأصدقاء، وبغض الأعداء
٤. ألحّب لمن احسن اليه، والبغض لمن اساء عليه
٥. الميل الى الزواج للإنسان السالم
٦. طلب الاولان من الزوج والزوجة
٧. حب الجمال
٨. حب الذات وجلب المنفعة ودفع الضرر

٩. يريد الإحترام من الآخرين، ويكره التذليل منهم
١٠. يحبّ أن يكون سالماً غير محتاج، ويحبّ الرئاسة
١١. يحبّ العلم والكمال
١٢. يكره أن يقال له جاهل، والمسيء
١٣. يكره الموت الا في بعض الحالات
١٤. يطالب الصحة والسكون
١٥. يكره الغلاظة ويتنفر عن الكثافات والقاذورات
١٦. يتأثر من الحر والبرد
١٧. يحتاج الى النوم
١٨. يتعب من حمل الوزن الثقيل
- ١٧٠
١٩. لا يتولد طفل مع شعر اللحية والأسنان
٢٠. بخيل، حريص، وأحياناً يكون سخياً
٢١. يريد أن ينال درجة المحبوبة بين الناس
٢٢. يريد الراحة دون تعب
٢٣. يحب أن يقبل الآخرون موقفه ونظره

٢٤ . لا يمكن أن ينام عند الأصوات المزعجة

٢٥ . لا يمكن أن لا ينام ٢٤ ساعة كل يوم من دون علة

٢٦ . الإنسان غالبا لا يقدر أن ياكل عشرين كيلو من

الماء والغذاء في وقت واحد

٢٧ . المولود لا يتولد عن طريق فم الأم وأذنها

٢٨ . لا يتولد من دون الزواج بين الرجل والمرءة

٢٩ . لا يبقى الجنين في بطن الأم عدة اعوام، ولا يتولد

بعد خمسة ايام من عقد النطفة

٣٠ . يتنفر من اكل وشرب ما لا يجبه

وهكذا يكون هناك عشرات من الأمور الثابتة،

نعم قد يطرأ على أحد من هذه الأمور تغيرات في نحوية

الإستفادة، مثل السفر وطى المسافة، فانه قد يكون بالمشى،

او على الإبل أو الفرس، او بالسيارة والطائرة، وهكذا

يقوم الإنسان بالدفاع عن نفسه اما باليد، او بالسيف، او

بالرصاص و احيانا بالقنبله الذرية.

## الثاني: القوانين المرنة المتحركة

قوانين الاسلام تنقسم الى قسمين: قانون أولى،

وقانون ثانوي

**القانون الاوّل:** هو الذي يتعلق بالموضوع مع قطع النظر عن الحالات الطارئة، كسرب الخمر، فانه حرام في حد ذاته.

**القانون الثانوي:** وهو الذي يتعلق بالموضوع بالنظر إلى العوارض التي تعرض على الموضوع، والقوانين التي تتغير عند العوارض كالأتي.

١. الاضطرار: فعند الاضطرار يصبح كثير من الحرام حلالا.

قال الله تعالى: وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا

مَا اضْطُرِرْتُمْ (١)



٢. **العسر والخرج:** إذا كان العمل على حكم يوجب العسر والخرج فيرفع ذلك الحكم، كرفع حكم الغسل والوضوء عند الخرج، ووجوب التيمم مكانها قال تعالى:

وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (١)  
يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ  
الْعُسْرَ (٢)

٣. **التقية:** يتبدل الحكم عند الخوف على النفس والمال قال تعالى:

لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ  
دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ  
مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ  
تُقَاتًا (٣)

(١) سورة الحج الآية ٧٨

(٢) سورة البقرة الآية ١٨٥

(٣) سورة آل عمران الآية ٢٨

٤. **الضرر:** إذا كان إمتلاك شئ سبباً لضرر الآخرين فيسلب عن صاحبه حق الملكية، لا ضرر ولا ضرار في الإسلام.

٥. **الجبر والإكراه:** يرتفع الحكم عند الجبر والإكراه

٦. يرتفع حكم الصوم عن المسافر والمريض

٧. يرتفع الحكم عند الخوف

٨. يرتفع الحكم عند العجز عن العمل

٩. **الجهل:** يرتفع الحكم عند الجهل بالحكم، اذا لم يكن

الجهل عن عمد، الذي سمي بالجاهل القاصر

١٠. **التزاحم:** عند تزاحم الحكمين يتغير الحكم كما أن

التصرف في مال الغير حرام، إلا أن يكون إنقاذ حياة

المؤمن موقوفاً عليه.

القسم الآخر من القوانين المتحركة في الإسلام، هو

الأمكنة التي لا يوجد فيها حكم شرعي في القانون

الإسلامي، وقد سمي ذلك بعض الفحول: منطقة



الفراغ، فيجوز للأمة القيام بالتقنين، مثل قوانين المرور الذي يسمى بالترافيك.

## تجسّم العمل

إن عمل الإنسان الصادر عبارة عن الطاقة (Energy) وهذه الطاقة يأخذ الإنسان من الخارج بصورة الغذاء، بمعنى أن الغذاء الداخل في الإنسان يتبدّل بالطاقة عند العمل، فالمادة تدخل في داخل الإنسان بصورة الغذاء، وتخرج منه بصورة العمل، فالمادة تتبدّل الى الطاقة عند العمل، والعمل يوجد بالإرادة، ففي الحقيقة أن الإرادة هي القوة التي تقوم بتبديل المادة إلى الطاقة.

وكان رأى القدماء أن العمل عرض، والجسم جوهر، ومن المحال أن يتخذ العمل صورة الجسم، وأما اليوم أصبح هذا النظر من المتسالم عليه أن الطاقة تتبدل إلى المادة، والمادة تتبدل الى الطاقة، فالعمل جوهر وليس

بعرض، فعمل الإنسان في الدنيا يبقى بصورة الطاقة ويتجسم في الآخرة، وفي القرآن عدّة آيات تدل بظواهرها على تجسم الأعمال.

١. يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾ (١)

والقدماء كانوا يؤلّون ان المراد يرى جزاء عمله، ولقد علمنا انه لا يحتاج إلى هذا التاويل، لأن الانسان يرى في الآخرة نفس العمل مجسماً.

وفي القرآن صراحة أن جزاء العمل غير رؤية العمل، كما في قوله تعالى:

١. وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى ﴿٤١﴾ (٢)

(١) سورة الزلزلة الآيتان ٨ تا ٦

(٢) سورة النجم الآيتان ٣٩ تا ٤١

٢. يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ (١)
٣. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ۝ (٢)

(١) سورة آل عمران الآية ٣٠

(٢) سورة ق الآية ٢٢

## علاقات الإيمان بالسلوك

رب قائل يقول: إن البحث عن أمور لا يكون لها تأثير في حياة الإنسان، ليس إلا إتلافاً للأوقات اهداراً للطاقات، فلا بد للعاقل ان يتابع موضوعات لها تأثير في الحياة خدمة جبارة للمجتمع، فلنبحث في مثل هذه الموضوعات تاركين إلى الوراء تلك الموضوعات غير المادية التي لا تتعلق في اسعاد الحياة ورفاه المجتمع.

نقول: إن نشاطات الإنسان انما تكون لها أشواط بعيدة اذا كانت هذه النشاطات نتيجة لعوامل داخلية، اي اذا كانت نتيجة متجسدة للأحاسيس التي تكون تجسيدات للمفاهيم والغرائز، والا فالنشاطات الناتجة عن العوامل الخارجية تزول عندما تزول هذه العوامل.

فالدين أولاً يقدم لسلوك الإنسان عوامل داخلية بالتربية والتهذيب، ويقدم المفاهيم الخيرة، ثم يقوم بتربية

الإنسان لتحويل هذه الغرائز والمفاهيم البناءة إلى الأحاسيس، كي تتجسد في سلوك الإنسان.

فهذا الإنسان الذي توجد فيه الميول الطبيعية المتضادة، الخيرة والشريرة، لو ترك على حاله يميل إلى ميوله الشريرة ويتوسل لإشباع غريزته بوسائل غير إنسانية، فلا يكون عندئذ فرق بينه وبين سائر الحيوانات  
(وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ  
الْأَنْعَامُ) (١)

فالإيمان يقدم للمجتمع البشري المفاهيم والغرائز الطيبة كي تتجسد إلى أحاسيس طاهرة، ثم تتجسد في سلوك عادل يضمن خير المجتمع البشري.

كما نرى أن الإنسان الإلهي يكون في سلوكه أنفع للمجتمع، فهو يقدم الخدمات الإنسانية للمجتمع بفتح المدارس والمستشفيات ومساعدة الفقراء والمساكين

والإنفاق والتصدق وغير ذلك. إِنَّمَا نُنْعِمُكُمْ لِيُوجِبَهُ اللَّهُ  
لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا ﴿٩﴾ (١)

أما الذين ليس في مشاعرهم مفاهيم الخير  
والإحسان فلا يكون لهم سلوك كهذا (أَرَأَيْتَ الَّذِي  
يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ ﴿٣﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُ  
عَلَىٰ طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾) (٢)

على أن الدين له تأثير كبير في تنمية الأخلاق  
الكريمة في الإنسان، الكل يعرف ان الإنسان يدرك الحسن  
في الأمانة والوفاء بالعهد، والصدق، والعفة، والعدالة.  
ويدرك القبح في الخيانة والكذب ونقض العهد والظلم.  
والدين يقوم بارشاد الناس إلى الفضائل، والإجتنب عن  
الردائل بايجاد العوامل في داخل الإنسان، ولا يقدر على  
إيجاد مثل هذه العوامل إلا الدين.

(١) سورة الإنسان: الآية ٩

(٢) سورة الماعون: الآيتان ١ تا ٣

## الإيمان ضرورة تربوية

إن علماء الاجتماع إتفقوا على أن شخصية الفرد تتكون من عوامل عدة أهمها الوراثة، والمحيط، والتغذية، والمطبوعات، والدولة وبعض الخصوصيات الطبيعية في البدن، ولكن العامل الذي له الدور الفعال في تكوين الشخصية هو التربية.

فالتربية الفاسدة توجب الإنحطاط في الشخصية

وبالتربية الصالحة تتكامل النفس،

والتربية عبارة عن إحياء القيم الإنسانية العالية

كالإيثار والجود، والتفاني في سبيل العقيدة، وبث العلم وخدمة الناس، والتي تغاير تماماً الميول الحيوانية.

ومن هنا نتساءل عن العوامل التي لأجلها يتحمل

الإنسان العبء الثقيل في سبيل هذه القيم المضادة لميوله

وهواه. وليست هناك عوامل سوى العقيدة بالمبدأ والمعاد.

ألدين يتمتع بالواقع الذي لا بد من الإعتراف به  
 إن الإنسان بطبعه يعترف بالأمر الواقع حينما يرى  
 انه يتمتع بالواقع كاعترافنا بأن السماء فوق رؤوسنا  
 والأرض تحت أقدامنا وأن حاصل ضرب الأثنين في  
 الأثنين أربعة، فيلزمنا الإعتراف بمثل هذه الواقعيات  
 لاجل الواقع لا لأجل فائدة نتوقعها منها.  
 فإذا ثبت بالبراهين الفلسفية والعلمية أن الدين  
 يتمتع بواقع هام لا بد لنا من الإعتراف به وان لم نفرض له  
 فائدة. وان الحقيقة يجب أن تحترم لأجل ذاتها، وان لم تكن  
 هذه الحقيقة جالبة لنفع او دافعة لضرر.



## الايان ضرورة إجتماعية

إن حياة الإنسان بما انها اجتماعية لا يمكن له ان يعيش إلا مع أفراد نوعه، لأنه يحتاج في كثير من لوازم حياته إلى الآخرين، والحياة الإجتماعية تتطلب العدالة الإجتماعية، ذلك ان لوازم الحياة غير متوفرة إلى حد الكفاية كتوفر الهواء. ومن جهة اخرى ان الإحتياج والحرص يدفعان الإنسان إلى جلب لوازم الحياة إلى نفسه، ومن هنا يقع التنازع والتخاصم بين الناس، وهذا يستلزم الفساد.

والعدالة الإجتماعية إنما تتربى في أحضان القانون. فيقع السؤال حول المقنن فقد يُقال: إن المقنن الذي يقوم بتوفير العدالة هو البرلمان، كما هو الموجود في العصر الحاضر، ولكن لا يمكن توفير العدالة الإجتماعية عن طريق التقنين من البرلمان لعدة أمور:.

١. إن النواب سواء كانوا من الإقطاعيين، أو التجار رجالاً ونساءً، لهم ميولهم ومنافعهم التي تخصهم دون غيرهم،

فهم يقومون بالتقنين لمصالحهم، كما نرى ذلك بوضوح في أمريكا، فإنه لا يوضع هناك قانون في صالح السواد، وفي العالم الثالث تكون العنصرية من عوامل التفريق في القوانين.

٢. ان النواب غالباً لا يتأهلون علمياً وفكرياً للقيام بوظيفة التقنين، لأن عوامل انتخابهم ومجيئهم إلى البرلمان تكون غير علمية وفكرية، كالحزب والثورة والقبلية والتشفع. فيرد إلى البرلمان أولئك الذين ليس لديهم أي كفاءة علمية وفكرية.

٣. ان اعضاء البرلمان لا يخلو إما أن يقعوا تحت ضغط الحكومة أو الناخبين فلا يتوجهون إلى مصالح الشعب.

٤. لو صرفنا النظر عن ذلك كله فإن هؤلاء النواب إنما يضعون قانوناً لصالح بلادهم خاصة ولا يكون في إمكانهم توفير العدالة لكل الأمة ولجميع الشعوب.

فلا توجد هناك مادة قانون تدين الأمريكيين على ارتكابهم الجرائم البشعة في فيتنام وفلسطين، وفي امكنة

متعددة في العالم مع ان رئيسها يقدم إلى المحاكمة لمسألة لا تتمتع باي اهمية في داخل بلادهم كمسألة (واترغيت).

اذ ليس في امكان هذه القوانين الوضعية اقامة رقابة باطنية وراذع نفساني تقوم بمحاكمة المتخلف.

٥. ولو نجح الإنسان في وضع قانون عام شامل يضمن توفير الأمن والعدالة للبشرية جمعاء، فانه ليس لدى الإنسان اي ضمان لتنفيذ هذا القانون على هذا الإنسان الغارق في الميول والشهوات.

٦. ان القانون الوضعي انما يحاول ان يقوم على إشراف أفعال البشر فقط. وأما الإشراف على الأوصاف النفسية، والخلقية وتهذيب النفوس وتربية القيم الإنسانية والذي هو العمدة في تكامل الإنسان ورقية ولتوفير الأمن الإجتماعي، فليس في امكان هذه القوانين قطعاً.

فلا بد اولاً، أن يكون الإله العادل العالم بجميع احوال البشر والعادل لجميع العباد والبلاد، هو المقنن. وثانياً، أن يكون

تنفيذ هذه القوانين الإلهية بيد المتدينين الذين يتصفون  
بالتقوى والعدالة.



## الإيمان ضرورة أخلاقية

يعلم الكل بأن الإنسان مركّب من الشهوة والغضب والعقل، وإن أوّل شيء يتكوّن في الإنسان هو الشهوة، فيوجد فيه الشهوة إلى التغذي وهو في بطن امه، وبعدها يتولد يستولي عليه الغضب كما يعبر عنه بالبكاء عند الألم والجوع مثلاً، وتنمو هاتان القوتان في الإنسان ولا يوجد أي رادع. وبعد بلوغ الإنسان سنّ الرشد يتكون فيه العقل فيأخذ العقل مقامه في الإنسان متأخراً، فالقوة العاقلة متأخرة فيه وجوداً ورشداً من قوة الشهوة والغضب.

ومن هنا تتنافس كل من هذه القوة لتسخير النفس والسيطرة عليها وجرها إلى ما يقتضيه، فإن تغلبت الشهوة عليها لحقت النفس بالبهائم، وإن غلب الغضب لحقت النفس عندئذ بالسباع، وإن غلب عليه العقل لحقت بالملائكة.

فيقع هنا سؤال عن الطريق لوصول الإنسان إلى  
علاج يتغلب به العقل على النفس مع أن العقل متأخر  
عنهما؟

والإجابة أن العلاج الوحيد لتغلب العقل على  
النفس هو الاعتقاد بالمبدأ والمعاد، فالإنسان لأجل بلوغه  
إلى التكامل في العقل وتحريره من غل الشهوات وإثارة  
الغضب في أشد الحاجة إلى الدين والإيمان بالله وإلا فهو  
كالأنعام أو أضلّ سبيلاً.

## الإيمان ضرورة نفسية

إن روح الإنسانية في سيرها إلى عالم الأيماني لا تقف عند حد معين، حتى حصول نفس الأيماني لا يكون عائقاً لهذا السير، فتزداد الأمانى ويشتد الطلب للمزيد، سواء في الماديات أو في المعنويات حتى بعد الحصول على المطلوب، فنفس الإنسان تعشق شيئاً قبل حصوله، ولكن بعد الحصول على هذا الشيء ينعدم العشق للشيء الحاصل ويشق العشق طريقه إلى مالا نهاية، فما له نهاية لا يكون مطلوب الإنسان حقيقة.

ومن هذا يظهر أن الشيء المتناهي والمحدود لا يمكن أن يوفر للإنسان الطمأنينة والسكون، فلا بد لنفس الإنسان أن تتوجه إلى شيء لا حد له ولا نهاية حتى تطمئن نفسه إليه، وليس هنا إلا الله سبحانه: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ) (١)

(١) سورة الرعد الآية ٢٨

على أن الإنسان الذي لا يتمتع بطعم الإيمان بالله  
إذا سئل عن الحياة ومبدئها وسرّها وغايتها ومن أين هي؟  
إلى أين؟ ولماذا؟ لا تكون عنده اجابة مقنعة لهذه الأسئلة.  
وهكذا إذا سئل الإنسان المادي عن سر الآلام  
والمصائب وابتلاء الإنسان بالمرض والحرمان يقول: إنني  
لعبة بيد الطبيعة تلعب بي.

فعدم التوصل إلى فهم صحيح للحياة والتمایل  
الفاحش إلى الملذات المادية، والإصطدام بالمصائب  
ومقاساة خيبة الامل في سير الحياة، وفكرة الفناء المطلق  
بعد الموت، اسباب تلقي الإنسان المادي في الإضطراب  
والقلق النفسي، ويعاني الإنسان المادي منها العذاب الأليم  
في هذه الحياة قبل عذاب الآخرة (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن  
ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا) (١)

(وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا  
صَعْدًا) (٧) (٢) لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلِعَذَابٌ

(١) سورة طه: الآية ١٢٤

(٢) سورة الجن الآية ١٧



الْآخِرَةَ أَشَقُّ<sup>ط</sup> (١) فيلتجئ هذا الإنسان المعذب إلى  
المخدرات مرّة وإلى الإنتحار مرّة.

وأما الإنسان الإلهي فهو يتمتع بسكون وطمأنينة،  
لأنه يؤمن بالمبدأ، وأن حياته جاءت منه لتتكمّل، وأن  
الإنسان إذا كان يعاني المصائب والآلام فإنه يفوز بنجاح  
الآخرة وأن خيبة الأمل تعني أنه كانت هناك مصلحة  
حاكمة على الأمور.

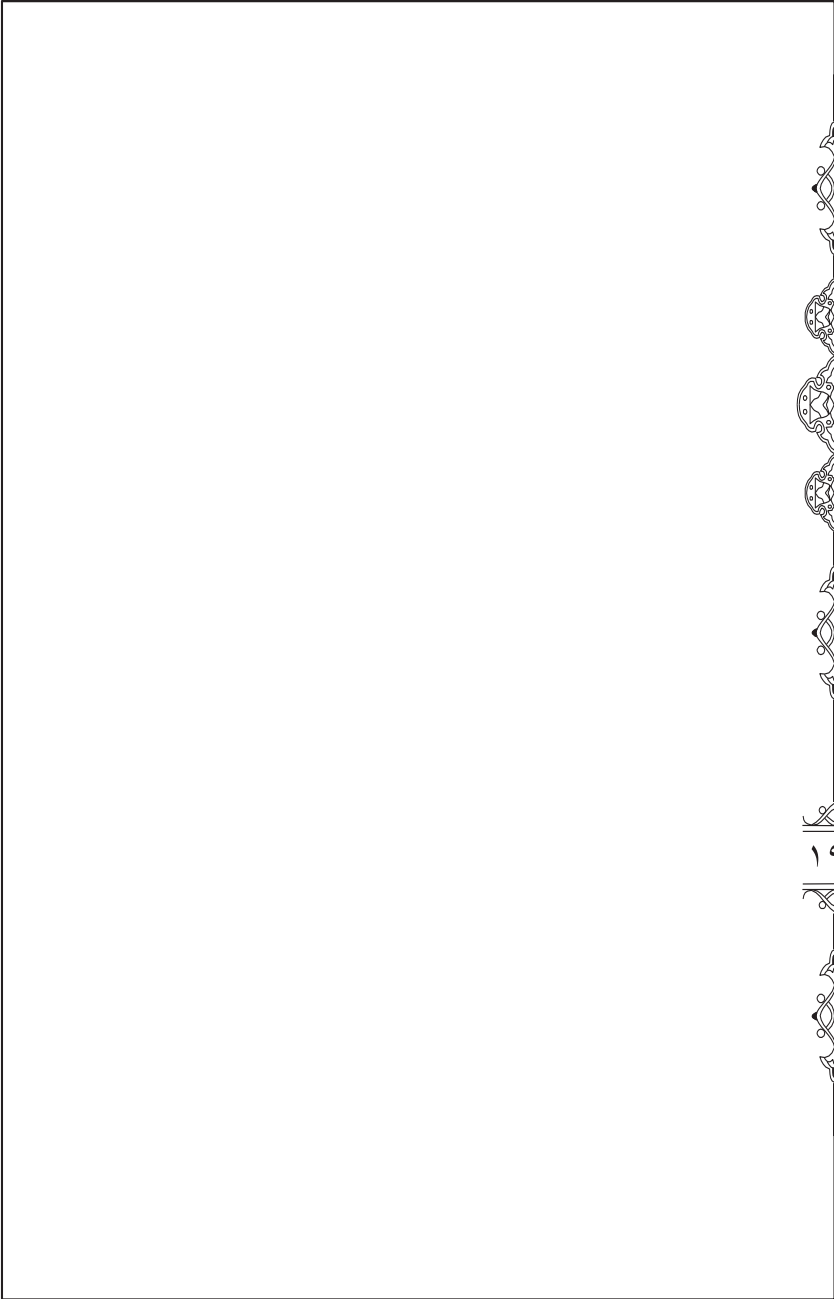
(أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿١٨﴾ (٢) (الَّذِينَ  
آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ) (٣)  
(لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ  
الدُّنْيَا) (٤)

(١) سورة الرعد الآية ٣٤

(٢) سورة الرعد: الآية ٢٨

(٣) سورة الأنعام: الآية ٨٢

(٤) سورة يونس: الآية ٩٨

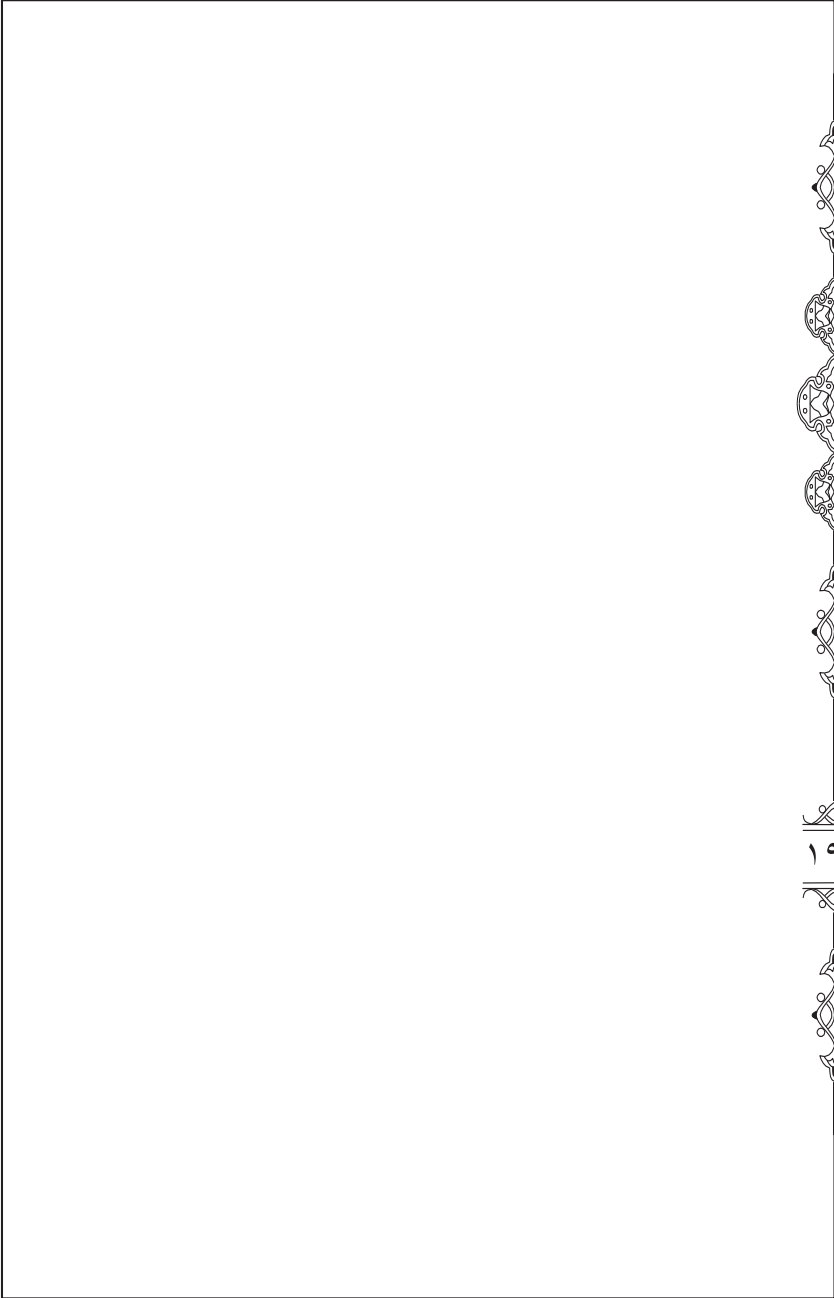


# الباب السادس

## البداء في التكوين

من كتاب البيان في تفسير القرآن

لآية الله العظمى السيد أبي القاسم الخوئي رضوان الله عليه



بمناسبة الحديث عن النسخ في الأحكام وهو في أفق التشريع. وبمناسبة أن النسخ كالبداء وهو في أفق التكوين. وبمناسبة خفاء معنى البداء على كثير من علماء المسلمين، وأنهم نسبوا إلى الشيعة ما هم برآء منه، وأنهم لم يحسنوا في الفهم، ولم يحسنوا في النقد وليتهم إذ لم يعرفوا تثبتوا، أو توفقوا كما تفرضه الأمانة في النقل، وكما تقتضيه الحيطة في الحكم، والورع في الدين، بمناسبة كل ذلك وجب أن نذكر شيئاً في توضيح معنى البداء، وإن لم تكن له صلة. غير هذا بمدخل التفسير.

تمهيد:

لا ريب في أن العالم بأجمعه تحت سلطان الله وقدرته، وأن وجود أي شيء من الممكنات منوط بمشيئة الله تعالى، فإن شاء أوجده، وإن لم يشأ لم يوجد.

ولا ريب أيضاً في أن علم الله سبحانه قد تعلق بالأشياء كلها منذ الأزل، وأن الأشياء بأجمعها كان لها تعيّن علمي في علم الله الأزلي وهذا التعيّن يعبر عنه: "تقدير الله" تارة و"قضائه" تارة أخرى، ولكن تقدير الله و علمه سبحانه بالأشياء منذ الأزل لا يزاحم ولا ينافي قدرته تعالى عليها حين إيجادها، فان الممكن لا يزال منوطاً بتعلق مشيئة الله بوجوده التي قد يعبر عنها بالاختيار، وقد يعبر عنها بالإرادة. فإن تعلقت المشيئة به وجد وإلا لم يوجد. والعلم الإلهي يتعلق بالأشياء على واقعها من الإناطة بالمشيئة الالهية، لأن إنكشاف الشيء لا يزيد على واقع ذلك الشيء، فإذا كان الواقع منوطاً بمشيئة الله تعالى كان العلم متعلقاً به على هذه الحالة، وإلا لم يكن العلم علماً به على وجهه وانكشافاً له على واقعه، فمعنى تقدير الله تعالى للأشياء وقضائه بها:

أن الأشياء جميعها كانت متعينة في العلم الألهي منذ الأزل على ما هي عليه من أن وجودها معلق على أن

تتعلق المشيئة بها حسب اقتضاء المصالح والمفاسد التي تختلف باختلاف الظروف، والتي يحيط بها العلم الإلهي.

### موقف اليهود من قدرة الله:

وذهبت اليهود إلى أن قلم التقدير والقضاء حينما جرى على الأشياء في الأزل إستحال أن تتعلق المشيئة بخلافه. ومن أجل ذلك قالوا: يد الله مغلولة عن القبض والبسط والأخذ والإعطاء، فقد جرى فيها قلم التقدير ولا يمكن فيها التغيير ومن الغريب أنهم قاتلهم الله. إلتزموا بسلب القدرة عن الله، ولم يلتزموا بسلب القدرة عن العبد. مع أن الملاك في كليهما واحد، فقد تعلق العلم الأزلي بأفعال الله تعالى، وبأفعال العبيد على حد سواء.

### موقع البداء عند الشيعة:

ثم إن البداء الذي تقول به الشيعة الامامية إنما يقع في القضاء غير المحتوم. أما المحتوم منه فلا يتخلف، ولا بد

من أن تتعلق المشيئة بما تعلق به القضاء. وتوضيح ذلك أن  
القضاء على ثلاثة أقسام:  
**أقسام القضاء الإلهي:**

**الأول:** قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحد من خلقه،  
والعلم المخزون الذي استأثر به لنفسه. ولا ريب في أن  
البداء لا يقع في هذا القسم، بل ورد في روايات كثيرة عن  
أهل البيت عليهم السلام أن البداء إنما ينشأ من هذا العلم.  
روى الشيخ الصدوق في "العيون" باسناده عن  
الحسن بن محمد النوفلي أن الرضا قال لسليمان المروزي:  
"رويت عن أبي عن أبي عبد الله أنه قال: إن لله عز وجل  
علمين علماً مخزوناً مكنوناً لا يعلمه إلا هو، من ذلك يكون  
البداء، وعلماً علّمه ملائكته ورسله، فالعلماء من أهل بيت  
نبيك يعلمونه..." (١)

(١) عيون اخبار الرضا باب ١٣ في ذكر مجلس الرضا مع سليمان المروزي.



وروى الشيخ محمد بن الحسن الصفار في "بصائر الدرجات" باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله قال:  
 إن لله علمين: علم مكنون مخزون لا يعلمه  
 إلا هو، من ذلك يكون البداء وعلم علمه  
 ملائكته ورسله وأنبياءه، ونحن نعلمه (١)

**الثاني:** قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بأنه سيقع حتماً.  
 ولأريب في أن هذا القسم أيضاً لا يقع فيه البداء، وإن  
 افرق عن القسم الأول، بأن البداء لا ينشأ منه.

قال الرضا لسليمان المروزي في الرواية المتقدمة  
 عن الصدوق:

إن علياً كان يقول: العلم علمان، فعلم  
 علمه الله ملائكته ورسله، فما علمه  
 ملائكته ورسله فإنه يكون، ولا يكذب  
 نفسه ولا ملائكته ولا رسله وعلم عنده

(١) نقلاً عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ ط كمباني. ورواه  
 الشيخ الكليني عن أبي بصير أيضاً، الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣.

مخزون لم يطلع عليه أحداً من خلقه يقدم  
 منه ما يشاء، ويؤخر ما يشاء، ويمحو ما  
 يشاء ويثبت ما يشاء. (١)

وروى العياشي عن الفضيل قال: سمعت أبا جعفر  
 يقول:

”من الأمور أمور محتومة جائية لا محالة،  
 ومن الأمور أمور موقوفة عند الله يقدم  
 منها ما يشاء، ويمحو ما يشاء، ويثبت منها  
 ما يشاء، لم يطلع على ذلك أحداً يعني  
 الموقوفة، فأما ما جاءت به الرسل فهي  
 كائنة لا يكذب نفسه، ولا نبيه، ولا  
 ملائكته“ (٢)

(١) عيون أخبار الرضا باب ١٣ ورواه الشيخ الكليني عن الفضيل بن يسار

عن أبي جعفر الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣

(٢) نقلاً عن البحار: باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٣ ط كمباني

**الثالث:** قضاء الله الذي أخبر نبيه وملائكته بوقوعه في الخارج إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه. وهذا القسم هو الذي يقع فيه البداء:

يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ<sup>ط</sup> وَعِنْدَهُ أُمٌّ

الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ (١)

وقد دلت على ذلك روايات كثيرة منها هذه:

١. ما في "تفسير علي بن ابراهيم" عن عبدالله بن مسكان عن أبي عبدالله : "قال: إذا كان ليلة القدر نزلت الملائكة والروح والكتابة إلى سماء الدنيا، فيكتبون ما يكون من قضاء الله تعالى في تلك السنة، فإذا أراد الله أن يقدم شيئاً أو يؤخره، أو ينقص شيئاً أمر الملك أن يمحو ما يشاء، ثم أثبت الذي أراده.

قلت: وكل شيء هو عند الله مثبت في كتاب؟

قال: نعم. قلت: فأَيُّ شيء يكون بعده؟

قال: سبحان الله، ثم يحدث الله أيضاً ما يشاء تبارك  
وتعالى“

٢. ما في تفسيره أيضاً عن عبدالله بن مسكان عن أبي  
جعفر وأبي عبدالله، وأبي الحسن في تفسير قوله  
تعالى:

فِيهَا يُفَرَّقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ (١)

أي يقدر الله كل أمر من الحق ومن الباطل، وما  
يكون في تلك السنة، وله فيه البداء والمشيئة. يقدم ما يشاء  
ويؤخر ما يشاء من الآجال والأرزاق والبلايا والأعراض  
والأمراض، ويزيد فيها ما يشاء وينقص ما يشاء.... (٢)

٣. ما في كتاب ”الاحتجاج“ عن أمير المؤمنين :  
وأنه قال: لو لا آية في كتاب الله،  
لأخبرتكم بما كان وبما يكون وبما هو كائن

(١) سورة الدخان الآية ٤

(٢) نفس المصدر ص ١٣٤

إلى يوم القيامة، وهي هذه الآية: يَمْحُو

اللَّهُ.... (١)

وروى الصدوق في الأمالي والتوحيد باسناده عن

الأصبغ عن أمير المؤمنين مثله.

١. ما في "تفسير العياشي" عن زرارة عن أبي جعفر

قال:

كان علي بن الحسين يقول: لولا آية في

كتاب الله لحدثتكم بما يكون إلى يوم

القيامة، فقلت آية آية؟

قال: قول الله: يَمْحُو اللَّهُ.... (٢)

٢. ما في "قرب الاسناد" عن البنظري عن الرضا قال:

قال أبو عبدالله، وأبو جعفر، وعلي بن

الحسين، والحسين بن علي، والحسن ابن

علي، وعلي بن أبي طالب عليهم السلام

(١) الاحتجاج للطبرسي ص ١٣٧ المطبعة المرتضوية النجف الأشرف

(٢) نقلا عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٩ ط كمباني

والله لولا آية في كتاب الله لحدثناكم بما  
 يكون إلى أن تقوم الساعة: يَمْحُو  
 اللَّهُ.....(١)

إلى غير ذلك من الروايات الدالة على وقوع البداء في  
 القضاء الموقوف.

**وخلاصة القول:** أن القضاء الحتمي المعبر عنه باللوح  
 المحفوظ، وبأم الكتاب، والعلم المخزون عند الله يستحيل  
 أن يقع فيه البداء. وكيف يتصور فيه البداء؟ وأن الله  
 سبحانه عالم بجميع الأشياء منذ الأول، لا يعزب عن  
 علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

روى الصدوق في "إكمال الدين" بإسناده عن أبي  
 بصير، وسماعة عن أبي عبدالله :

قال: من زعم أن الله عزوجل يبدو له في  
 شيء لم يعلمه أمس فابراً أو منه. (١)

وروى العياشي عن ابن سنان عن أبي عبد الله يقول:

إن الله يقدم ما يشاء، ويؤخر ما يشاء،  
ويمحو ما يشاء، ويثبت ما يشاء وعنده أم  
الكتاب. وقال: فكل أمر يريد الله فهو في  
علمه قبل أن يصنعه، ليس شيء يبدو له  
إلا وقد كان في علمه. إن الله لا يبدو له من  
جهل. (٢).

وروى أيضاً عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله :

سئل عن قول الله يَمْحُو اللَّهُ... قال: إن  
ذلك الكتاب كتاب يمحو الله ما يشاء  
ويثبت، فمن ذلك الذي يرد الدعاء  
القضاء. وذلك الدعاء مكتوب عليه الذي  
يرد به القضاء، حتى إذا صار إلى أم  
الكتاب لم يغن الدعاء فيه شيئاً (٣)

(١) نقلا عن البحار. باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦

(٢) نقلا عن نفس المصدر ص ١٣٩

(٣) نقلا عن نفس المصدر ص ١٣٩

وروى الشيخ الطوسي في كتاب "الغيبة" باسناده  
 عن البزنطي، عن أبي الحسن الرضا قال علي بن  
 الحسين، وعلي بن أبي طالب قبله، ومحمد بن علي، وجعفر  
 بن محمد:

كيف لنا بالحديث مع هذه الآية يَمْحُو  
 اللَّهُ... فأما من قال بان الله تعالى لا يعلم  
 الشيء إلا بعد كونه فقد كفر وخرج عن  
 التوحيد. (١)

والروايات الماثورة عن أهل البيت عليهم السلام:  
 أن الله لم يزل عالماً قبل أن يخلق الخلق، فهي فوق حد  
 الإحصاء. وقد اتفقت على ذلك كلمة الشيعة الإمامية  
 طبقاً لكتاب الله وسنة رسوله، جرياً على ما يقتضيه حكم  
 العقل الفطري الصحيح.

(١) نقلاً عن البحار باب البداء والنسخ ج ٢ ص ١٣٦ ط كمباني، وروى  
 الشيخ الكليني باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله قال: "وما  
 بدالله في شيء إلا كان في علمه قبل أن يبدو له" الوافي باب البداء ج ١ ص



## ثمرة الاعتقاد بالبدء:

والبدء: إنما يكون في القضاء الموقوف المعبر عنه بلوح المحو والاثبات. والالتزام بجواز البدء فيه لا يستلزم نسبة الجهل إلى الله سبحانه وليس في هذا الالتزام ما ينافي عظمته وجلاله.

فالقول بالبدء: هو الاعتراف الصريح بأن العالم تحت سلطان الله وقدرته في حدوثه وبقائه، وأن إرادة الله نافذة في الأشياء أزلاً وأبداً، بل وفي القول بالبدء يتضح الفارق بين العلم الإلهي وبين علم المخلوقين، فعلم المخلوقين وإن كانوا أنبياء أو أوصياء لا يحيط بما أحاط به علمه تعالى، فإن بعضاً منهم وإن كان عالماً بتعليم الله إياه بجميع عوالم الممكنات لا يحيط بما أحاط به علم الله المخزون الذي استأثر به لنفسه، فإنه لا يعلم بمشيئة الله تعالى لوجود شيء أو عدم مشيئته إلا حيث يخبره الله تعالى به على نحو الحتم.

والقول بالبداء: يوجب انقطاع العبد إلى الله وطلبه  
 إجابة دعائه منه وكفاية مهماته، وتوفيقه للطاعة، وإبعاده  
 عن المعصية، فإن إنكار البداء والإلتزام بأن ما جرى به قلم  
 التقدير كائن لا محالة دون استثناء. يلزمه يأس المعتقد بهذه  
 العقيدة عن إجابة دعائه فان ما يطلبه العبد من ربه إن كان  
 قد جرى قلم التقدير بانفاذه فهو كائن لا محالة، ولا حاجة  
 إلى الدعاء والتوسل، وإن كان قد جرى القلم بخلافه لم  
 يقع أبداً، ولم ينفعه الدعاء ولا التضرع. وإذا يئس العبد من  
 إجابة دعائه ترك التضرع لخالقه، حيث لا فائدة في ذلك،  
 وكذلك الحال في سائر العبادات والصدقات التي ورد عن  
 المعصومين عليهم السلام أنها تزيد في العمر أو في الرزق  
 أو غير ذلك مما يطلبه العبد.

وهذا هو سرّ ما ورد في روايات كثيرة عن أهل  
 البيت عليهم السلام من الإهتمام بشأن البداء.

فقد روى الصدوق في كتاب "التوحيد" بإسناده  
 عن زرارة عن أحدهما قال: "ما عبد الله عزوجل بشيء

مثل البداء“ (١). وروى باسناده عن هشام بن سالم عن أبي  
 عبدالله قال ”ما عظم الله عزوجل بمثل البداء“ (٢)  
 وروى باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي  
 عبدالله :

قال: ما بعث الله عزوجل نبياً حتى يأخذ  
 عليه ثلاث خصال: الأقرار بالعبودية،  
 وخلع الأنداد، وأن الله يقدم ما يشاء  
 ويؤخر ما يشاء (٣)

**والسر في هذا الاهتمام:** أن إنكار البداء يشترك بالنتيجة مع  
 القول بأن الله غير قادر على أن يغير ما جرى عليه قلم  
 التقدير تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. فان كلا القولين

(١) أفضل من البداء. نسخة أخرى

(٢) التوحيد للصدوق باب البداء ص ٢٧٢ ط سنة ١٣٨٦، ورواه الشيخ  
 الكليني أيضاً. الوافي باب البداء ج ١ ص ١١٣

(٣) نفس المصدر ص ٢٧٢، ورواه الشيخ الكليني أيضاً. الوافي باب البداء

يؤيس العبد من إجابة دعائه، وذلك يوجب عدم توجهه في طلباته الى ربه.

### حقيقة البداء عند الشيعة

وعلى الجملة: فان البداء بالمعنى الذي تقول به الشيعة الامامية هو من الابداء "الاطهار" حقيقة، واطلاق لفظ البداء عليه مبني على التنزيل والاطلاق بعلاقة المشاكلة. وقد أطلق بهذا المعنى في بعض الروايات من طرق أهل السنة.

روى البخاري باسناده عن أبي عمرة، أن أبا هريرة

حدثه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

إن ثلاثة في بني اسرائيل: أبرص، وأعمى،

وأقرع بدا الله عز وجل أن يبتليهم فبعث

اليهم ملكاً فأتى الأبرص.... (١)

(١) صحيح البخاري ج ٤ باب ما ذكر عن بني اسرائيل ص ١٤٦

وقد وقع نظير ذلك في كثير من الاستعمالات القرآنية:  
كقوله تعالى:

الآن حَقَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ  
فِيكُمْ ضَعْفًا (١)

وقوله تعالى:

لَتَعْلَمَ أُمَّةٌ مِّنَ الْحَزْبَيْنِ أَهْصَىٰ لِمَا لَبِثُوا  
أَمَدًا (١٤) (٢)

وقوله تعالى:

لَتَبْلُوَهُمْ أَهْلُهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (٧) (٣)

وما أكثر الروايات من طرق أهل السنة في أن  
الصدقة والدعاء يغيران القضاء.

أما ما وقع في كلمات المعصومين عليهم السلام من  
الأنباء بالحوادث المستقبلية فتحقيق الحال فيها: أن المعصوم

(١) سورة الانفال الآية ٦٦

(٢) سورة الكهف الآية ١٢

(٣) سورة الكهف الآية ٧

متى ما أخبر بوقوع أمر مستقبل على سبيل الحتم والجزم، ودون تعليق، فذلك يدل أن ما أخبر به مما جرى به القضاء المحتوم وهذا هو القسم الثاني "الحتمي" من أقسام القضاء المتقدمة. وقد علمت أن مثله ليس موضعاً للبداء، فإن الله لا يكذب نفسه ولا نبيه. ومتى ما أخبر المعصوم بشيء معلقاً على أن لا تتعلق المشيئة الإلهية بخلافه، ونصب قرينة متصلة أو منفصلة على ذلك فهذا الخبر إنما يدل على جريان القضاء الموقوف الذي هو موضع البداء. والخبر الذي أخبر به المعصوم صادق وإن جرى فيه البداء، وتعلقت المشيئة الإلهية بخلافه فإن الخبر كما عرف منوط بأن لا تخالفه المشيئة.

## القضاء والقدر (١)

إستعمل مادة القضاء والقدر لعدة معانٍ

معاني القضاء:

ألف: ما يقضى بين المتخاصمين، كقوله تعالى: إِنَّ رَبَّكَ

يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ (٢)

ب: قضى الله الامرى انباه به كقوله تعالى: وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ

ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾ (٣)

ج: قضى الله الشئ أى أوجبه، وامر به كقوله تعالى: وَقَضَى

رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ (٤).

(١) من دراسة السيد مرتضى العسكري تغمده الله بواسع رحمته

(٢) سورة يونس الآية ٩٣

(٣) سورة الحجر الآية ٦٦

(٤) سورة الاسراء الآية ٢٣

د: قضى الله الأمر أو الشئ أى تعلقت إرادته به وقدره  
كقوله تعالى: وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ  
فَيَكُونُ ﴿١٧﴾ (١) قضى اى أراد.

### معاني القدر

ألف: قدر على الشئ او العمل أى استطاع أن  
يفعله فهو قادر.

ب: قدر الرزق عليه ويقدر أى ضيقه كقوله تعالى:  
قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ (٢)  
وفي معنى التدبير والارادة: كقوله تعالى: فَقَدَرْنَا  
فَنِعَمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ (٣)

ج: قدر الله الامر أى قضى به أو حكم بأن يكون  
كقوله في زوجة لوط فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ

(١) سورة البقرة الآية ١١٧

(٢) سورة سبأ الآية ٣٦

(٣) سورة المرسلات الآية ٢٣



الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ (١) أى قضينا وحكمنا عليها أن تكون من الهالكين.

د: ١. القدر: المقدار والكمية، كقوله تعالى: وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ (٢) أى بمقدار وكمية معلومة.

٢. وقدّر الشيء زمانه ومكانه، كقوله تعالى: أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَى قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ (٣) أى إلى زمان محدّد معلوم.

٣. قدر الله: قضاؤه المحكم أو حكمه المبرم على خلقه، كقوله تعالى: سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ<sup>ع</sup> وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ (٤) أى قضاءً محكماً و حكماً مبرماً.

(١) سورة الاعراف الآية ٨٣

(٢) سورة الحجر الآية ٢١

(٣) سورة المرسلات الآيتان ٢٠ تا ٢٢

(٤) سورة احزاب الآية ٣٨

لعلّ تعدد معاني ما ينسب إلى الله من مادتي  
القضاء والقدر قد أدى إلى لبس معنى ماورد منهما في  
القرآن والحديث واعتقاد بعض المسلمين بان الانسان يسير  
في حياته في كل ما يعمل من خير أو شرّ وفق ما قضى الله  
عليه وقدّر أن يخلق.

ويطلق في الأخبار لفظ القدرى على الجبري  
والتفويضي كليهما، وعليه فإنّ القدر إسم للشئ وضده  
كالقرء، إسم للحيض والطهر معاً، ولا نطيل البحث  
بإيراد أقوال المعتقدين بذلك والإجابة عليها، وإنما نكتفى  
بإيراد الأحاديث التي نجد فيها جواباً لتلكم الأقوال  
توضيحياً وبيانا للأمر بحوله تعالى.

ب: روايات أئمة أهل البيت عليهم السلام في

القضاء والقدر

أولاً: عن أول أئمة أهل البيت علي بن أبي طالب روى  
في توحيد الصدوق بسند إلى الامام الحسن و في تاريخ  
إبن عساكر بسنده إلى إبن عباس:

واللفظ للاّول قال:

دخل رجل من أهل العراق على  
أمير المؤمنين فقال: أخبرنا عن خروجنا  
إلى أهل الشام أبقضاء من الله وقدر؟  
فقال له أمير المؤمنين : أجل يا شيخ،  
فوالله ما علوتم قلعة ولا هبطتم بطن وادٍ  
إلا بقاء من الله وقدر.

فقال الشيخ: عندالله احتسب عنائي (١) يا  
امير المؤمنين فقال: مهلاً يا شيخ، لعلك  
تظن قضاءً حتماً وقدرًا لازماً، لو كان  
كذلك لبطل الثواب والعقاب والأمر  
والنهى، والزجر، ولسقط معنى الوعيد  
والوعد ولم يكن على مسيء لائمة ولا

(١) اى ان كان خروجنا وجهادنا بقضائه تعالى لم نستحق اجراً، فرجائى ان  
يكون عنائى عندالله محسوباً في عداد اعمال من يتفضل عليهم بفضله يوم  
القيامة

لمحسن محمداً ولكان المحسن أولى  
 بالملائمة من المذنب، والمذنب أولى  
 بالإحسان من المحسن، تلك مقالة عبدة  
 الأوثان ولخصماء الرحمن، وقدرية هذه  
 الأمة ومجوسها، يا شيخ، إن الله عز وجل  
 كلف تخيراً ونهى تحذيراً، اعطى على  
 القليل كثيراً ولم يعص مغلوباً ولم يطع  
 مكرهاً، ولم يخلق السماوات والارض وما  
 بينهما باطلاً ذلك ظن الذين كفروا، فويل

للذين كفروا من النار

فنهض الشيخ وهو يقول:

أنت الإمام الذي نرجو بطاعته يوم النجاة من الرحمن غفرانا  
 اوضحت من ديننا ما كان ملتبساً جزاك ربك عنا فيه إحسانا  
 فليس معذرة في فعل فاحشة قد كنت راكبها فسقاً وعصيانا

(راجع: توحيد الصدوق ٣٨٠)

**ثانياً:** عن السادس من أئمة أهل البيت عليهم السلام

الإمام ابى عبدالله جعفر بن محمد الصادق :

إنّ الناس في القدر على ثلاثة اوجه:

رجل يزعم أن الله عزوجل أجبر الناس

على المعاصى فهذا قد ظلم الله في حكمه

فهو كافر

ورجل يزعمهم أن الأمر مفوض إليهم،

فهذا قد أوهن الله في سلطانه فهو كافر.

ورجل يزعم أن الله كلف العباد ما يطيقون

ولم يكلفهم ما لا يطيقون وإذا أحسن حمد

الله وإذا أساء أستغفر الله فهذا مسلم بالغ

(راجع: توحيد الصدوق ٣٦٠)

**ثالثاً:** وعن الثامن من أئمة أهل البيت الإمام أبى الحسن

الرضا قال:

إن الله عزوجل لم يطع بإكراه ولم يعص

بغلبة، ولم يهمل العباد في ملكه، هو المالك

لما أملكهم والقادر على ما أقدروهم عليه،  
 فإن ائتمروا بطاعته لم يكن الله منها  
 صاداً ولا منها مانعاً، وإن ائتمروا بمعصية  
 فشاء أن يحول بينهم وبين ذلك فعل، وإن  
 لم يحل وفعلوه فليس هو الذي أدخلهم  
 فيه. (راجع: توحيد الصدوق ٣٦١)

## فهرست

- ابتدائية..... ٠٥
- الباب الاوّل..... ٠٩**
- عوامل تكوين الاعتقاد بالدين ..... ١١
- الاقتصاد ..... ١٢
- أجلهـل بالعلل الطبيعية ..... ١٩
- أخوف من الحوادث الطبيعية ..... ٢١
- العقدة النفسية ..... ٢٣
- الاغتراب عن الذات ..... ٢٤
- الباب الثاني: البراهين على وجود الله..... ٢٥**
- برهان الفطرة ..... ٢٧
- بيان الفطرة في القرآن ..... ٣٤
- علائم الأمور الفطرية ..... ٣٨
- الإنجذاب الفطري ..... ٣٨
- الفطرة والقيم الأخلاقية ..... ٣٩
- الفطرة والوعى الانساني ..... ٣٩

٤٥	برهان النظم
٥٠	الكون
٥١	التجاذب والتعادل في الكون
٥٥	البرهان الحسى
٥٦	البرهان الحسى في القرآن
٥٧	الايات المنكشفة في الخليات
٥٩	ماهى (DNA)
٦٠	دور الجينات في مصير الانسان
٦٣	قسم العلاقات والترابط
٦٤	معجزة الخلية الخلاقة
٦٥	عصمة الأنثى
٦٦	تكوّن الذكر والأنثى
٦٧	إلى حجرة العريس
٦٧	اكبر معجزة
٦٨	المعجزة الكبرى
٦٨	وهنا عدة اسئلة
٧١	خاصية المادة والتحسب للمستقبل
٧٣	الصدفة
٧٥	الحياة والصدفة



٧٨	برهان الصديقين .....
٨٠	لكل شيء علة .....
٨٣	دليل الوجوب .....
٨٥	التجربة والإيمان بالله .....
٨٨	نظام العلة والمعلول .....
٩١	مبدأ العلية عام شامل لكل شيء .....
٩٣	الهداية التكوينية .....
٩٩	حدوث العالم .....
١٠١	المادة والحياة: .....
١٠٥	وحدانيته تعالى .....
١٠٧	صرف الوجود لا يتعدد .....
١٠٩	التعدد يستلزم التركيب .....
١١١	<b>الباب الثالث</b> .....
١١٣	التوحيد ومراتبه .....
١١٣	التوحيد الذاتي .....
١١٤	التوحيد الصفاتي .....
١١٥	التوحيد الأفعالي .....
١١٥	التوحيد في الخالقية .....

التوحيد في التدبير	١١٦.....
الخلق والتدبير	١١٦.....
التوحيد في الحاكمية والولاية	١١٧.....
التوحيد في العبادة	١١٨.....
أالجبر و الإختيار	١٢٠.....
الجبر والشرك	١٢٢.....
نظرية الجبر في التاريخ	١٢٣.....
<b>الباب الرابع.....</b>	<b>١٢٥.....</b>
التعرف على صفاته الله تعالى	١٢٧.....
الموقف بين التشبيه والتعطيل	١٢٩.....
الصفات الثبوتية	١٣٠.....
نظرية الحنابلة	١٣٢.....
نظرية المعتزلة	١٣٣.....
نظرية الشيخ الأشعري	١٣٣.....
موقف الإمامية	١٣٣.....
الصفات السلبية	١٣٤.....
ليس بجسم	١٣٤.....
ليس في جهة ولا محل	١٣٤.....
إنه تعالى ليس بمرئى	١٣٥..... ٤.٣.٤

١٣٧.....	الرؤية القلبية
١٣٩.....	العدل الإلهي
١٤٣.....	دليل النافين
١٤٤.....	عقيدتنا في العدل
١٤٥.....	نكتة هامة
١٤٧.....	معضلة الشرور
١٥٥.....	أسباب الإلحاد
١٥٩.....	<b>الباب الخامس: معالم الدين</b>
١٦١.....	الدين والعلم
١٦٣.....	الدين والقيم الأخلاقية
١٦٣.....	والأخلاق ينقسم إلى قسمين
١٦٤.....	الدين والأخلاق
١٦٧.....	دور الدين الثابت في العالم المتحول
١٦٨.....	الاسلام والتطور القانوني
١٧٢.....	الثاني: القوانين المرنة المتحركة
١٧٥.....	تجسّم العمل
١٧٨.....	علاقات الإيمان بالسلوك
١٨١.....	إيمان ضرورة تربوية

١٨٣.....	الايان ضرورة إجتماعية
١٨٧.....	الايان ضرورة أخلاقية
١٨٩.....	الايان ضرورة نفسية
١٩١.....	<b>الباب السادس</b>
١٩٣.....	البداء في التكوين
١٩٧.....	موقف اليهود من قدرة الله:
١٩٧.....	موقع البداء عند الشيعة:
٢٠٧.....	ثمرة الإعتقاد بالبداء:
٢١١.....	حقيقة البداء عند الشيعة
٢١٤.....	القضاء والقدر



جامعة الكاثر

اسلام آباد - پاکستان

email: [info@alkauthar.edu.pk](mailto:info@alkauthar.edu.pk)  
Website: <http://www.alkauthar.edu.pk>